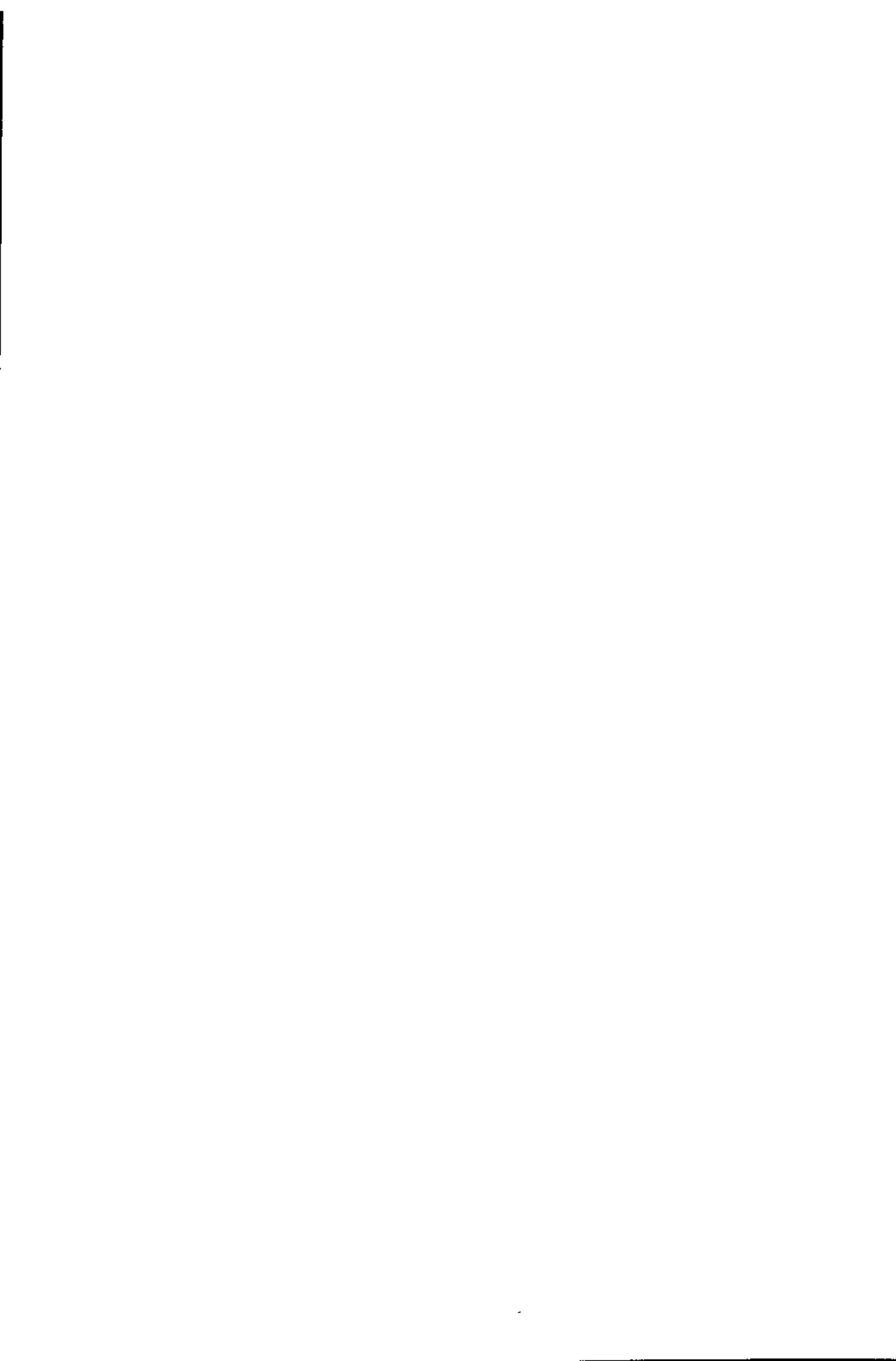


كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية

بقلم :
أحمد أبو زيد

السنة الثالثة عشرة
محرم ١٤١٥هـ - العدد ١٤٥



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

المؤامرة ضد الإسلام ومحاولة النيل منه والتشكيك في أصوله والعيب في رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مخطط قديم بدأ منذ مطلع الرسالة ممثلا في أهل الكفر والإلحاد الذين وقفوا في وجه الاسلام وقاوموا دعوته وسفهوا رسوله ورموه مرة بالجنون وأخرى بالكهانة وحاولوا صده عن الحق بشتى الطرق والوسائل .

ولقد اجتمع أعداء الإسلام في كل العصور حول هدف واحد هو محاربة هذا الدين والنيل منه فالكفر ملة واحدة، ووجهوا كل سهامهم إليه وكرسوا كل طاقاتهم لتحقيق هذا الهدف معتمدين على وسائل عدة كان آخرها الأدب بأشكاله المختلفة من قصة ومسرحية ورواية وقصيدة ومقالة فقد استغلوا الأدب أسوأ استغلال في حربهم للاسلام حيث تم تدوين القصص المليئة بالهزل والسخرية والسب للأديان والرسل والأنبياء واستخدم هذا الأسلوب بطريقة مبرمجة ومخططة فظهرت الروايات والقصص التى تهاجم الإسلام ونبيه وتتطاول على الحق سبحانه .

ونحن في هذا البحث أمام ثلاث روايات أدبية أثارت سخط العالم الإسلامي وغضبه أعدها المخطط العدائى الذي يستهدف ضرب الإسلام وغيره من الأديان وتشويه معالمه والهجوم على كل ماهو مقدس من كتب ومعتقدات والتطاول على الرسل والأنبياء وتسفيههم ورميهم زورا وبهتانا بما ليس فيهم .

وهـذه الروايـات الادبية الثـلاث هي : «أولاد حـارتنا» لنجيـب محفوظ وهـي الرواية التـى كتبها صـاحبها عام ١٩٥٩م واحتـج عليها الأزهر الشريـف وقام بمصـادرتها ومنع نشرهـا ثم طفـت على السطح مرة أخرى عام ١٩٨٨م عندما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الأدب وكانـت هذه الـرواية من أسبـاب حصولـه على هذه الجائزة كما اعلنت اللجنة الخاصـة بها، ولا غرابة في أن يحصل نجيـب محفوظ على جائزة نـوبل وهـي الجائزة التى ينظمهـا اليهود ولا غـرابة أيضـا في أن تترجـم «أولاد حارتنـا» الى الانجليزيـة وغيرها مـن اللغات وأن يهتـم دارسو الأدب العربى من الغربيين بها وهي الرواية التى تحطم كل ماهو مقدس مـن الأديان والرسل والكتـب السماوية والغيبيات فقـد وجدوا فيها ضـالتهم حيث كتبـت بيد تنتمى للإسـلام ووفرت عليهم شـوطا كبيرا في مخططهم الـرامي إلى حـرب الإسلام وتسفيـه الرسـل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أمـا الروايـة الثانيـة فهي «الآيـات الشيطانيـة» التى كتبهـا سلمان رشدى وهو يدعـى أنه مسلم هندى بريطانى الجنسيـة وأحدثت ضجة عالمية وصلـت الى المستوى السياسى والعـلاقات الدولية في مطلـع عام ١٩٨٩م وهـي الـروايـة التى كتبـت خصيصـا للهجـوم على الإسـلام وتشويه صورتـه والنيل من رسوله صلى الله عليه وسلـم ومن أهل بيته الطيبين الأطهار.

وأما الرواية الثـالثة فهى «مسافة في عقل رجـل (-) محاكمة الاله» وهي الـروايـة التـى كتبها مجهول يـدعى علَاء حـامد يعمـل في مصلحة الضرائب بالقاهرة وتطاول فيها على الله سبحانه وسب الرسل والأنبياء

وأنكـر الغيبيـات واستهـان بـالاديـان ، وبسبــب هـذه الـروايـة قـدم للمحاكمة وقضت محكمة الدولة الجزئية بسجنه ثماني سنوات في مطلع عام ١٩٩١م .

فهذه الروايات الثلاث جاءت ضمن مخطط واحد هو الهجوم على الأديان ومـواجهة الإسلام والصـد عن سبيله وتشـويه صورتـه وسب رسوله صلى الله عليـه وسلم ، والمحزن حقا في هـذه الأعمال الثلاثة أنها جـاءت من أشخـاص ينتمون إلى الإسـلام فسلمان رشدى يـدعى انـه مسلم هنـدى الاصل ، وكل مـن نجيب محفوظ وعـلاء حامد يـدعيان أنهما مسلمان مصريان وعنـدما يـأتى الطعـن في الإسلام والتشكيـك في أصولـه ممن يـزعم أنـه مسلم وممـن ينتمون إليـه تكون الطـامة الكبرى ويكون هذا الاختراق الـذي تتعرض له الأمة الاسلاميـة وإنما يأتي من أفـراد منها يعملـون لصـالح أعـداء الإسـلام مـن صليبيين وصهاينـة وغيرهم ويسخـرون أقلامهـم وصنعتهم الأدبيـة لخدمة مخطـط يسعى هدم دينهم وسب نبيهـم فما أقسى الظلم عندمـا يأتى من الصـاحب أو القريب وظلم ذوى القـربى أشد غضاضة على النفس مـن وقع الحسام المهند والناظـر في هذه الاعمال الثلاثة التى وقعت ضمـن مخطط الهجوم على الأديـان ومحاربـة الاسـلام يـدرك أنها مــن النـاحيـة الموضـوعيـة وبالمقاييس الادبية ليست بالاعمال الأدبيـة الجيدة التى تستحق التكريم والحفاوة أو يستحـق أصحابها الشهـرة بسببها أو التكـريم مـن أجلها ، ويدرك ايضـا أن هناك عوامـل غير موضوعيـة قد تـدخلت لرفـع هذه الـروايات الى مستـوى أعلى مما هـي مؤهلـة لـه حتى حصـل صاحـب إحداها على جائزة نوبل وذلـك لكى تؤدى هذه الأعمال دورا دعائيا في

مواجهة الإسلام .

ولعل هذا ماسوف نؤكده في بحثنا هذا بشيء من التفصيل عندما تتعرض لكل من هذه الاعمال الأدبية الثلاثة على حدة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

احمد ابو زيد

الفصل الأول

الهجوم على الاسلام قديما وحديثا

- الهجوم على الإسلام مخطط استعماري صليبي
- الهجوم على الإسلام مخطط صهيوني
- الهجوم على الإسلام مخطط شيوعي
- الهجوم على الإسلام مخطط تغريبي
- حكم سب الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.



الهجوم على الاسلام قديما وحديثا

تعددت في هذا العصر القوى المعادية الإسلام مابين صليبية وعلمانية وصهيونية وهندوكية وبوذية وهذه القوى تقف من الإسلام وأهله موقف المحارب حربا خفية ومعلنة تمتد لتصل إلى كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية ، وفي كل بقاع الأرض سواء بين الأقليات المسلمة في الخارج أو بين الاكثريات في الداخل .

وهم على حربهم هذه متفقون ولديهم الإمكانات الضخمة التى يسخرونها لتحقيق اهدافهم المتمثلة في تشويه صورة الإسلام وإضعاف المسلمين وكسر شوكتهم وتحويلهم الى مجموعات لا هوية لها ولا تأثير ولا وزن .

وهذا العداء للإسلام وأهله الذي يملأ قلوب أعداء الإسلام ويحاول النيل من المسلمين يتم التخطيط له بدقة متناهية فقد أحسوا بقوة الإسلام وخطره عليهم وعلى حضارتهم المادية الزائفة وبأنه دين زاحف ممتد ينتشر بسرعة إذا ماقوى أهله وأصبح بيدهم مقاليد الأمور ولذلك أعلنوا العداء له وخططوا لحربه وهذا ليس بجديد فعداؤهم للإسلام قديم وقد اخبرنا به الحق سبحانه في كتابه حيث يقول ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ «البقرة ١٢٠» ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ﴾ «البقرة ٢١٧» .

والصراع بين الحق والباطل صراع دائم ومستمر منذ بدء الخليقة وإلى ان تقوم الساعة وأسلحة الباطل لا تقوى وتشتد إلا إذا ضعف الحق وأهله وغاب عن الساحة.

ومسلسل الهجوم على الإسلام ومحاولات النيل منه كذبا وافتراء والدس في أحكامه والعيب في رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مسلسل قديم بدأ منذ نزل القرآن في مكة وكلف الحق سبحانه نبيه بحمل الرسالة وتبليغها للعالمين حيث اعترض دعوته كفار مكة وسفهوا مايقول ورموه مرة بقول الشعر وأخرى بالسحر والكهانة وثالثة بالجنون وكالوا له السباب والشتائم وكانوا يقولون عنه «مذمما» بدلا من «محمد».

وجاء ملحد من بينهم هو النضر بن الحارث فأدعى أنه سينزل مثل ما أنزل الله على محمد.

ومع انتصار الدولة الاسلامية بدأ الاختلاط بالنصارى والمجوس والجنسيات المختلفة في الشام ومصر وفارس وكل هذه الجنسيات كانت تلجأ الى سب الرسول صلى الله عليه وسلم وشتمه وتأليف جمعيات لهذا الغرض مثل إخوان الصفا والماسونية.

وقد استمر هذا المسلسل وزاد اكثر بعد أن دخل المسلمون الأندلس وحدث الاحتكاك بين علماء الاسلام والمسيحيين حيث الف النصارى كتبا وقصائد شعر في سب الرسول صلى الله عليه وسلم ومع الحريات التى توفرت في الدولة الإسلامية بدأ المسيحيون واليهود يكتبون في الطعن في الإسلام وكان هذا نوعا من التعويض والحرب الدعائية بالنسبة لهم، وقد زاد هذا الطعن في الإسلام وسب رسوله صلى الله

عليه وسلم في الحروب الصليبية فالكنيسة في أوربـا قامت بتأليف كتب كثيرة في هذا الغرض ولحق بـذلك حركة الاستشراق التى بـدأت تأخذ مناحى مختلفـة كالاهتمام بالتاريخ والأدب والشريعة وقـد ظهر من بين المستشرقين من أنصـف الإسلام ومـن دخله بـالفعل بعـد ان تعمق في معرفته .

وعندما ظهـرت الصحوة الإسلامية - كما يقول الـدكتور احمد عبد الرحمن استـاذ الفلسفة الاسلامية بـالجامعات المصرية - بـدأت تتجدد مـرة اخـرى محاولات السـب في الاســلام والنيـل منـه لان الحضـارة الاوربية بدأت تنهار ولم يعد هناك استراتيجية صالحة إلا الإسلام .

وهذه المحـاولات الجديدة بدأت تأخـذ اشكالا أخرى فقبل ذلـك كان هناك الكتب والاشعار أما الآن فقد جاءت الروايات الادبية ، والجديد في هذا الإسفاف أنهم بدأوا يجددون فيه وقد ازداد نشاطهم - كما ذكرنا - مع ظهور الصحـوة الاسلامية وسعيها الى تحقيق نوع مـن التوحد في العالم الاسلامي حيث يحاولون تشكيـك الناس في هذا الدين وإضعاف سيطـرتـه في النفـوس وكلما ازدادت الصحـوة الإسـلاميـة كلما اشتـد مسلسـل الهجوم على الإسـلام وهـم يخططـون لذلـك فكتـاب سلمان رشدى «آيـات شيطانية» لم يكتب عفـوا ولكن بتخطيط من المخـابرات الأمريكية ومجلس الكنائس العالمى وهـو يمثل حلقة واحدة في مسلسل حربهم للاسلام .

وسوف يتضح لنا خلال هـذا الفصل كيف أن الهجوم على الإسلام والعيب في رسولـه والتشكيك في أحكامه مخطـط واسع النطاق تشترك فيه قوى متعـددة تتفق جميعها في هدف واحد هـو القضاء على الإسلام

وإضعاف أهله والفصل بينهم وبينه .

وسوف نقسم هذا الفصل الى عدة مباحث على النحو التالى :

- **المبحث الاول: الهجوم على الإسلام مخطط استعمارى صليبى.**
- **المبحث الثانى: الهجوم على الإسلام مخطط صهيونى.**
- **المبحث الثالث: الهجوم على الاسلام مخطط شيوعى.**
- **المبحث الرابع: الهجوم على الاسلام هدف تغريبى.**
- **المبحث الخامس: حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل والانبياء.**

الهجوم على الإسلام مخطط استعماري صليبي

عداء الصليبية للإسلام وأهله أمر معروف للجميع منذ جاءت الحروب الصليبية واستولت على الشرق الإسلامي لعدة قرون ومن بعدها الاستعمار الغربي الصليبي الذي احتل البلاد الإسلامية وسيطر على مقاليد الأمور فيها ونهب ثرواتها وأكل خيراتها ولقد أدرك الصليبيون قوة الاسلام الحقيقية وأنه سر تقدم المسلمين ورقيهم في العصور السابقة فسعوا الى حرب هذا الدين في نفوس أهله ووضعوا مخططهم لتحقيق هذا الغرض وقد قام هذا المخطط على مجموعة من الخطط الفرعية منها إضعاف سلطان الاسلام في نفوس المسلمين من خلال السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة اخرى ، وبث الاشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين .

ومن هذه الخطط أيضا : تشويه حقائق الإسلام ووضعه في قفص الاتهام والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه وترجمته لغرض محاربته ، ونشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الاصيلة وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن .

هذا الى جانب تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في حوادثه وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه وإنشاء المذاهب الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها وإشغال المسلمين بها وإخراجهم من دينهم بواسطتها .

ولقد عقد مؤتمر أوربى كبير عام ١٩٠٧م ضم عدداً كبيراً من المفكرين والسياسيين الاوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح «إن الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء والواجب يقضى علينا ان نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا».

واستمر المؤتمر شهرا من الدراسات والنقاش واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التى يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا، فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضى ببذل الجهود لمنع إيجاد أى اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الاوسط لأن الشرق الاوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل اوربا، وأخيرا قرروا إنشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرقى قناة السويس ليبقى المسلمون متفرقين وبذلك أرست بريطانيا الصليبية أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية وقامت بذلك «دولة اسرائيل»(١)

وبعد ضرب الوحدة الإسلامية تسعى الصليبية بالتعاون مع القوى المعادية الاخرى لإبعاد المسلمين عن دينهم وقطع صلتهم بالله بشتى الوسائل ليتحللوا من نظام الإسلام ويسيروا في الإلحاد والإباحية وقد لجأوا لتحقيق هذا الهدف الى مجموعة من الوسائل منها:

١ - محاربة القرآن الكريم وتشويه احكامه:

فالصليبية تعتبر القرآن المصدر الأساسى لقوة المسلمين وعودتهم الى سالف عزهم لذا وجهت اليه سهامها وجعلته الهدف الأول لهجماتها.

---

(١) محمد محمود الصواف المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام.

ولقد تعرض القرآن الكريم منذ أقدم العصور لمطاعن ومفتريات واتهامات وتزوير وأكاذيب تحمل معها حجج النفاق والكفر لاصحابها، وقد قصد هؤلاء الكافرون والمنافقون في خصومتهم لكتاب الله وإثارة هذه الأمور حوله ان يشككوا في صحته وفي إعجازه وفي صدوره عن الله سبحانه إذ زعموا أنه كتاب محمد صلى الله عليه وسلم وأنه هو الذي ألفه وأملاه له خياله الخصب أو أنه أملاه عليه رجل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصاحبه ويا ليته عربى بل هو عجمى وهذا لسان عربى مبين.

قال تعالى: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعمله بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ﴾ «النحل ١٠٣-١٠٤».

ولقد استمرت الحملات والمطاعن تنتقل من جيل الى جيل ومن ميدان الى ميدان حتى جاء الاستشراق والمستشرقون والتنصير والمنصرون والاستعمار وإذا بالنغمة تتكرر وإذا بالسيوف تشهر وإذا بالمطاعن تنشر فتارة يتهمون القرآن بالتناقض وتارة باللحن وأخرى بفساد النظم ورابعة بإنكار الإعجاز وخامسة أنه من صنع النبى الى ماشاء لهم الحقد والهوى من ألوان التهم حتى لم يتركوا عيبا الا ونسبوه إلى القرآن وألصقوه به وقد استوى في ذلك القدماء والمحدثون والشرقيون والغربيون فيقول المستشرق «جولدتسيهر»:

«ومن العسير ان تستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من المتناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا الا آثار عامة نجد فيها أحيانا تعاليم متناقضة»(١).

---

(١) المرجع السابق.

ترجمة القرآن لإثارة الشكوك حوله

١ - ولقد لجأ الصليبيون في كفاحهم الإسلام والقرآن للدعوة الى ترجمة القرآن لتسهل عليهم إثارة الجدل حوله ونقده ووضع الشكوك في أحكامه ففى سنة ١١٢٢م قام الراهب بطرس الفنزايلى رئيس دير كولونيا بفرنسا بالدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية حتى يسهل على رجال الدين المسيحى هناك مناقشته والطعن فيه، وقد قام بهذه الترجمة راهبان من رهبانهم هما روبرت وهرمان وأتما الترجمة عام ١١٤٣ وظلت هذه الترجمة مخطوطة في عدة نسخ تتداولها الأديرة الى أن تم طبعها في مدينة بال بسويسرا عام ١٥٤٣م أى بعد أربعمائة سنة.

٢ - الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم وتشويه سيرته:

فالمستشرقون والمنصرون يسعون بكل قواهم لتشويه سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في سيرته ودعوته فهم يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته كرسول ومصلح ولم يكن يخطر بباله ان يكون قائدا أو مؤسسا لدولة حتى هاجر الى المدينة فبدأت تجول بذهنه وخاطره فكرة إنشاء دولة ويستدلون على هذا الافك بأنه - صلى الله عليه وسلم - كان في مكة مسالما لا يقاوم أعدائه بحرب ولا قتال ولكنه في المدينة خاض مع أعدائه المعارك الدامية.

ويزعم هؤلاء المستشرقون المتعصبون وغيرهم من قسس ورهبان الكنائس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يميل الى النساء لذلك سمح لأتباعه بتعدد الزوجات وتوفى هو عن تسع زوجات.

والى جانب هذا لجأوا الى الدس في السنة النبوية المطهرة والتشكيك فيها من نواح متعددة ظانين أنهم بذلك يهدمون أهم صرح في البنيان الاسلامي العتيد . (١)

٣ - تشويه حقائق الاسلام ووضعه موضع التهم :

فشر مامنيت به حملات العداء للإسلام من قبل الصليبية الكافرة واتهامه بالباطل ومحاولة تشويه حقائقه الناصعة المشرقة ووضعه موضع التهم في اتفاق مبيت وتدبير محكم بين المستشرقين والمنصرين وهم رسل المستعمرين وكأنهم جميعا امام متهم لابد ان يدينوه وان يلصقوا به التهم الكاذبة مع براءته وسلامته من كل عيب ونقص ، وتلك النية المبيتة في الحكم تقضى دائما الى نتائج تكاد تكون واحدة ومتشابهة حتى لقد اصبحت التهم والاباطيل معروفة ومكررة لكثرة ما توارد منها . شر ما منيت به تلك الحملات هو الهزيمة النكراء بعد ان ظهرت أكاذيبهم واندحرت افتراءاتهم وباءت مؤامراتهم بالخيبة والفشل وبقى الاسلام وسيبقى بحفظ الله له كالطود الشامخ وإذا أردنا أن نذكر بعض الصور والنماذج من هذه الاتهامات الظالمة التى يوجهها خصوم الاسلام للاسلام فسنجد أنها كلها مسائل ليست محلا للتهم ومن هذه المسائل مسألة الرق والحقيقة التى لا يعرفها هؤلاء ان الاسلام لم يشرع الرق بل شرع العتق بعد أن كان الرق موجودا ومشروعا قبل الإسلام ، والإسلام هو الذي كافح الرق ووضع المخطط الذي يكفل الحرية لجميع الأرقاء في المستقبل.(٢)

وقد قاموا بتشويه عقيدة القضاء والقدر وبدلوا فيها وقالوا زورا وبهتانا ان سر انحطاط المسلمين كما يبدو اليوم ناشىء عن عقيدة الايمان

---

(١) المرجع السابق . (٢) المرجع السابق .

بالقضاء والقدر وان كـل مايفعله العبد مقدر من الازل لا سبيـل لدفعه ثم قالوا: ولذلـك ترى المسلم كسولا جاهلا خاملا اعتقـادا منه بأنه لا فائدة من العمل مادام كل شيء بقضاء الله وقدره.

ومـن المؤسـف - كما يقـول الشيـخ محمـود الصـواف في كتـابـه «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسـلام - ان هذا الدس الـرخيص والبهتـان الظاهـر وجد سبيلـه إلى اذهان بعـض الكاتبين مـن المتسببين للاسـلام والذين يـزعمون انهم يبحثون عـن علل المجتمع الاسـلامى ولقد خابوا وخسروا أو لم يكلفوا انفسهم عنـاء البحث في هذه الدعوى التى قالها اعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين ولو انهم رجعوا الى كتاب الله وسنة رسولـه لوجدوا رائحة الكذب والجهل تفـوح من هذه الفرية الظالمة على الإسلام، ان عقيدة المسلمين اليوم بالقضاء والقدر لا تبلغ عشر معشار مـابلغته عند اسلافهـم وبناه تاريخهم ومجدهـم الخالد بل ان البطولات التـى سجلها الآباء في فتوحـاتهم وانتصاراتهم المذهلة التى أدهشـت العالم ليس لها سبـب الا انهم فهموا القضـاء والقدر على حقيقتـه وكان هـذا الفهـم وهذا التـوكـل الصحيـح هو سر عظمتهـم وانتصاراتهم الرائعـة، فقد فهموا القضاء والقدر على انـه لا يقدم أجلا ولا يؤخـر رزقا فجاهـدوا في الله حق جهـاده وقالوا كلمـة الحق حيث يجب أن تقـال، وفهموه على أنـه عمل لا كسـل وقـوة لا ضعف فيهـا وحافز دافع لا تثبيط فيه وسعى متواصل لا خمول فيه.

وبعد تشـويهم لعقيدة القضاء والقـدر قاموا بالطعـن في الاسلام من وجهة اخرى وهى تشويه معنـى الجزية واعتبارهم دليلا على الظلم والقهر والاضطهاد، وقـد انكروا فضل الاسلام في الجزيـة اذ ترك اهل

الكتاب احـرارا في دينهم واقـامة شعائرهـم وأعفاهـم من المشـاركة في القتـال واذ نظم الجزيـة تنظيما حكيما وجعلها جـزءا من نظـام التكافـل الاجتماعى .

وقد نسى هؤلاء ان الجزيـة كانت نظاما سائدا في العـالم كله يدفعه المغلوب للغالـب ولم يكن فيه من معانـى الانسانية شيء يذكـر بل كان عنوان الاذلال والقهر ووسيلـة لابتزاز اموال المغلوبين فجـاء الاسلام العظيم ونقل الجزيـة الى معنى انسانى كـريم ونبيل فجعلها ثمنـا لحماية اعراض المغلوبين واموالهم ودمائهم وعقـائدهم كما جعلها تعويضا عن عدم اشتراكهـم في الحروب الاسلامية وهذا مـن سمو عدالـة الاسلام ونبل قصـده، والجزية مـن جهة اخرى تجعـل للذمـى حقا في التكـافل الاجتماعى كالمسلم تماما والمسلم يدفع الزكاة. (١)

ولم تقـف محاولاتهم لتشويـه حقـائق الاسـلام عند هـذا الحد بـل اتجهوا الى تشويه معنى الجهاد في الاسلام والأغراض النبيلة التى فرض من أجلها حيث يزعمون أن معنى الجهاد في سبيل الله عند المسلمين هو حملهـم السيـف لإكـراه الشعـوب غير الاسـلاميـة على الـدخـول في الاسلام .

وهذه فرية يكذبها واقع وتاريخ المسلمين وكتاب رب العالمين فقد قال تعالى : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وقوله ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ الغاشية ٢١-٢٢ .

والمسلمـون لم يحاربـوا قـط في صـدر الاسـلام الا مـدافعين عـن انفسهـم او دافعين لمن يصـدون الـدعوة بـالموعظـة الحسنـة مـن ذوى

---

(١) المرجع السابق .

السلطان وقس على هذه الاتهامات التى كالوها للإسلام واتهامات اخرى كثيرة كزعمهم بأن الإسلام قد أهان المرأة وأذلها وانتقصها وأضاع حقوقها، وزعمهم بعدم صلاحية الدين ومناقضته للعلم وأنه أكبر أسباب انحطاط المسلمين اليوم وتخلفهم عن ركب الحضارة.

وهذا تشويه بين ومقصود لحقائق الاسلام وتاريخه وتاريخ علمائه وأبطاله ومعاركه وهو تشويه لا يقف عند حد ولا ينتهى الى غاية فأعداء الاسلام من المستشرقين والمنصرين والمتعصبين بيدهم اقلامهم وهي معاول هدم وألسنة سوء يشرقون بها ويغربون ويفترون وما يخجلون. (١)

وهذه التهم التى كالوها للاسلام زورا وبهتانا قد لعبت دورا كبيرا في تشويه صورة الاسلام في المجتمعات الغربية وهذا هدفهم لتأمين الغربيين من الدخول فيه ولقد عرض التلفزيون البريطانى منذ سنوات فيلما يسمى «سيف الاسلام» صور المسلمين بأنهم ارهابيون وسفاكو دماء وأنهم يحملون سيوفهم لنشر الاسلام وارغام الناس على الدخول فيه وانهم أناس متخلفون ومتأخرون نتيجة تمسكهم بدينهم.

٤ - نشر العلمانية بين المسلمين حتى يتم إقصاء الاسلام عن مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا يخرج عن جدران المساجد.

والعلمانية باختصار شديد هي فصل الدين عن الدولة والزعم بأنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين وبأن الاسلام ليس فيه نظام حكم ولا نظام اقتصادى وانما هو مجموعة من الطقوس والعبادات التى يؤديها المسلم بينه وبين ربه ولا علاقة له بشؤون الحياة، وقد ظهر هذا

(١) المرجع السابق.

المذهب في المجتمعات الغربية نتيجة تسلط الكنيسة على مجالات الحياة ووقوفها في وجه العلم والتقدم، اما الاسلام فيختلف عن المسيحية في أنه نظام شامل وكامل للحياة بكل مافيها ففيه النظام السياسى والنظام الاقتصادى وفيه التشريع والمعاملات والعبادات ولا يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الانسان الا وقد شملها، ولكن الاستعمار والصليبية استطاعوا نشر العلمانية بين المسلمين حتى صار لها مؤيدون ممن يحملون الاسماء الاسلامية ويعيشون بين المسلمين ويدعون الى هذا المذهب تنفيذا للمخطط الموضوع. (١)

٥ - الغزو الفكرى والثقافى للبلاد الاسلامية: فقد أدرك المستعمرون أن الغزو العسكرى لم يعد مجديا للسيطرة على البلاد الاسلامية حيث هب المسلمون لتحرير أرضهم ورفضوا الخضوع للاستعمار ومن هنا لجأوا الى غزو آخر أشد خطرا من الغزو العسكرى وهو الغزو الفكرى والثقافى الذي يسعى لنشر الافكار والمبادىء والعادات والتقاليد الغربية بين المسلمين ومحاربة المبادىء والاخلاقيات الإسلامية وتشويهها باسم الحضارة والتقدم لضرب الهوية الإسلامية وتحويل المسلمين الى أناس لا هوية لهم.

وقد اعتمد هذا الغزو الجديد على وسائل الاعلام بشتى انواعها كالصحف والاذاعة والتليفزيون والفيديو والاقمار الصناعية.

٦ - التنصير: والتنصير هو اخطر هذه الوسائل والخطط على الاطلاق وهو نشاط عالمى واسع النطاق يهدف بالدرجة الاولى الى ابعاد المسلم عن دينه ودعوته الى المسيحية والحيلولة بين الاسلام وبين

---

(١) مقال للمؤلف نشرته مجلة «رسالة الجهاد» تحت عنوان «الإسلام بين قوة أعدائه وجهل أبنائه».

انتشاره، واخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الدول المسيحية وضرب الوحدة الإسلامية وتمزيقها ومخططات التنصير هذه تعمل بين الاقليات الاسلامية وبين الاكثريات خاصة في البلاد الفقيرة التى تعانى من الفقر والجهل والمرض حيث يذهبون اليها بامكانيات ضخمة ويقدمون المعونات المادية ويبنون المستشفيات والمدارس ودور الرعاية بحيث يصبح التنصير ثمنا للغذاء والدواء والكساء في هذه المناطق ويعتمد المنصرون في نشاطهم على كافة الوسائل المتاحة لهم خاصة وسائل الاعلام حيث يمتلكون الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون والاقمار الصناعية.

وهم لا يسعون إلى تحقيق اهدافهم بشكل عشوائى غير منظم ولكن يقوم نشاطهم على التخطيط والتنظيم الدقيق وتقف من وراء ذلك منظمات متعددة للتنصير على رأسها مجلس الكنائس العالمى، ويقوم المنصرون بعقد الندوات والمؤتمرات لمناقشة خططهم واهدافهم وما حققوه منها ومايجب أن يسعوا لتحقيقه.

والدول المسيحية لا تبخل على ارساليات التنصير بالمال والعتاد ولكن تقدم لها الدعم الكبير الذي يصل الى المليارات سنويا وهذا دليل على قوة الصليبية التى تقف في وجه المد الإسلامي وتسعى لنشر المسيحية.

ولقد جاء في أحدث احصائية عن التنصير نشرتها المجلة الدولية لابحاث التنصير التى تصدر في امريكا نقلا عن «ديفيد باريت» أشهر الاحصائيين في احصائيات التنصير: ان مجموع التبرعات لاغراض كنسية بلغت عام ١٩٨٩م ماقيمته ١٥١ مليار دولار امريكى، وان

عدد الدوريات والمجلات والنشرات المسيحية التى توزع في العالم تبلغ ٢٢٧٠٠ مطبوع، أما الأناجيل التى وزعت في العام نفسه فتبلغ ٧٢ مليون و٥٥٢ الف نسخة وتحدد الإحصائية عدد أجهزة الكمبيوتر التى تستغلها المنظمات المسيحية لخدمة التنصير في تخطيط برامجها وتنفيذها ٤٥ مليون جهاز، وأن محطات الإذاعة والتلفزيون المسيحية في العالم تبلغ نحو ١٩٠٠ محطة، وأن عدد المنصرين المحليين أي أولئك الذين ينتمون الى الدول التى يعملون فيها يبلغ ٣ مليون و٨٦٥ ألف منصر.

الهجوم على الاسلام مخطط صهيونى

دأب اليهود منذ ظهور الاسلام على محاربته والسعى لافساد شرائعه وتشويه مصدر احكامه والعيب في رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والدس في سنته المطهرة واثارة الفتنة بين جمهرة المسلمين.

وهذا المخطط اليهودي الآثم لم تتوقف منذ بدء رسالة الاسلام وحتى يومنا هذا فلو نظرنا الى بروتوكولات حكماء صهيون نجد انهم يخططون فيها للقضاء على الاديان ففى البروتوكول الرابع عشر جاء: «عندما نصبح اسياد الارض لا نسمح بقيام دين غير ديننا . . من اجل ذلك يجب علينا ازالة العقائد واذا كانت النتيجة التى وصلنا اليها مؤقتا هي خلق الملحدين فإن هدفنا لن يتأثر بذلك بل يكون ذلك مثلا للاجيال القادمة التى ستستمع الى دين موسى هذا الدين الذي فرض علينا مبدؤه الثابت النابه وضع جميع الامم تحت أقدامنا».

وجاء في البروتوكول السابع عشر:

«لقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود والحط من قدرهم في نظر الشعب وأفلحنا كذلك في الإضرار برسالتهم التى تنحصر في تعويق اهدافنا والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام».

وإن حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع سنوات وسيكون القضاء على الأديان الاخرى ايسر من ذلك ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة . .

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها وسنجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا»(١)

فقد كرست اليهودية نشاطها للنيل من الإسلام والمسيحية ومحاربتها وقد بدأ هذا النشاط منذ زمن سحيق ففى التلمود «حيث إن المسيح كذاب وحيث إن محمدا اعترف به والمعترف بالكذاب كذاب مثله فيجب ان نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الاول».

وقد جهز حاخام يهودي في الحفل الذي أقيم لوضع الحجر الاساسى للمحفل الماسونى في تل ابيب عام ١٣٣٧ هجرية بقوله «اننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب الى اول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الارض وماعدا ذلك فهي أديان باطلة أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد وبين أي شعب وشعب ونتيجة لمجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامي ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة»(٢)

ولقد كشف الأميرال «وليام غاي كار» في كتابه «احجار على رقعة الشطرنج» عن المؤامرة الصهيونية العالمية التى وضعت للسيطرة على العالم ومحاربة الأديان وفرض المذهب الشيطاني على المجتمعات، وقد وضع هذه المؤامرة «وايزهاويت» مع المرابين اليهود عام ١٧٧٦م وهي تقوم على تدمير جميع الحكومات والاديان الموجودة على مستوى العالم وذلك عن طريق تقسيم الجوييم «غير اليهودى» الى معسكرات متنابذ

---

(١) د. على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي.
(٢) المرجع السابق.

تتصارع الى الأبد حول عدد من المشكلات التى تتولد دونها توقف اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية .

ويقضى المخطط بتسليح هذه المعسكرات بعد تقسيمها وتدبير حادث في كل مرة يكون من شأنه ان تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيضعفوا انفسهم ويحطموها ويحطموا الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية .

وفي نفس العام الذي انتهى فيه «وايزهاويت» من وضع خطة المؤامرة قام بتنظيم «جماعة النورانيين» ويقصد بهم اليهود للبدء في تنفيذها فلجأ الى الكذب مدعيا أن هدفه الوصول الى حكومة عالمية واحدة تتكون من ذوى المقدرات الفكرية الكبرى واستطاع بذلك ان يضم اليه مايقرب من ألفين من الأتباع من بينهم أبرز المتفوقين في ميادين الفنون والآداب والعلم والاقتصاد والصناعة ، وأسس محفل الشرق الاكبر وهو المركز الرئيسى للماسونية ووضع التعليمات التى يجب على أتباعه تنفيذها للوصول الى الهدف وهي : (١)

١ - استعمال الرشوة والجنس للوصول الى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني ورفع من يقع الى العمل في مخططهم عن طريق الابتزاز بالتهديد السياسى او الخراب المالى او حتى الايذاء الجسدى وارتكاب جريمة القتل تجاهه وتجاه أفراد اسرته .

٢ - قيام أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية بين اليهود بالاهتمام

(١) وليام غاي كار - أحجار على رقعة الشطرنج .

تتصارع الى الأبد حول عدد من المشكلات التى تتولد دونها توقف اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية.

ويقضى المخطط بتسليح هذه المعسكرات بعد تقسيمها وتدبير حادث في كل مرة يكون من شأنه ان تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيضعفوا انفسهم ويحطموها ويحطموا الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية.

وفي نفس العام الذي انتهى فيه «وايزهاويت» من وضع خطة المؤامرة قام بتنظيم «جماعة النورانيين» ويقصد بهم اليهود للبدء في تنفيذها فلجأ الى الكذب مدعيا أن هدفه الوصول الى حكومة عالمية واحدة تتكون من ذوى المقدرات الفكرية الكبرى واستطاع بذلك ان يضم اليه مايقرب من ألفين من الأتباع من بينهم أبرز المتفوقين في ميادين الفنون والآداب والعلم والاقتصاد والصناعة، وأسس محفل الشرق الاكبر وهو المركز الرئيسى للماسونية ووضع التعليمات التى يجب على أتباعه تنفيذها للوصول الى الهدف وهي: (١)

١ - استعمال الرشوة والجنس للوصول الى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني ورفع من يقع الى العمل في مخططهم عن طريق الابتزاز بالتهديد السياسى او الخراب المالى او حتى الايذاء الجسدى وارتكاب جريمة القتل تجاهه وتجاه أفراد اسرته.

٢ - قيام أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية بين اليهود بالاهتمام

---

(١) وليام غاي كار - أحجار على رقعة الشطرنج.



بـالطــلاب المتفـوقين عقليـا وتــدريبهــم وتجنيـدهـــم لخدمـة الهدف وتخصيصهـم بمنح دراسيـة والترسيخ في أذهـانهم أن تكويـن حكومـة واحـدة في العالم بـأسره هـو الطريـق الـوحيـد للخلاص مـن الحروب والكوارث .

٣ - أن يتم استخـدام الشخصيات ذات النفـوذ والطلاب الـذين تلقوا تدريبا خاصا كعملاء وإحـلالهم في المراكز الحساسة خلف الستار لدى جميـع الحكومـات بصفتهم خبراء أو متخصصين بحيـث يكون في إمكـانهم تقديـم النصـح الى كبار رجـال الدولـة وتـوجيههم لاعتنـاق السياسـات التى تخدم المخطط الصهيونـى للتوصل الى التـدمير النهائى لجميع الاديان وجميع الحكومات .

٤ - محاولة السيطرة على الصحـافة وكل اجهزة الاعـلام الاخرى وعلى مصادر الاخبار في العالم لاستغلالها في تحقيق الخطة الموضوعة .

والحقيقة ان جـانبا كبيرا من المخططـات التى وضعتها الصهيـونية يقـوم على محاربـة الاديـان وعلى رأسها الإسـلام والعيـب في الـرسـل والانبيـاء ولقد ثبـت ان من اسـاليب الصهـاينة انهم ينـافقون بـالتستر خلف الاديان غير اليهـودية فقد دخلوا في كثير مـن الاديان السماوية او الارضية سرا ليخدموا ديانتهم اليهـودية فدخلوا في الاسلام والمسيحية وغيرها مـن الاديان الكبرى في العالم نفـاقا غير ان هـدفهم الوحيـد هو الاسلام لأنه العدو اللـدود لهم ولانه هو الذي يوقف مـدهم ويكشف اسرارهـــم ولقـــد بـــرز في الفكـــر اليهـــودى والتـــوراة والتلمـــود والبروتوكـولات مجموعة مـن الخطط الفرعيـة التى استهدفـت حرب الاديان بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة وهذه الخطط تتمثل

في الآتى : (١)

١ - كل شيء في الحياة مادى فالله والعالم ليسا الا شيئا واحدا وجميع الديانات خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع .

٢ - العلم هـو الأساس الـوحيد لكل معتقـد، ورفض كـل عقيدة تقوم على أساس الوحى .

٣ - السطو على فكرة الوحـدانية أو تشويهها بالتفاسير كـالقول بأن الطبيعة هي الله .

٤ - إنكار وجود الخالق وتأييد قدم العالم .

٥ - تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في انسابهم .

٦ - محاولـة القضاء على الايمان بـالله ورسولـه واليـوم الآخر جملـة وتفصيلا .

٧ - فصل الـدين عن الدولـة بحيث ينتظم الحكم في العـالم كله كما كان في القرون الوسطى بين الكنيسة والسلطة .

٨ - اثارة الشكوك ضد كل المسلمات والعقـائد التى يوقن بها الناس في حياتهم العامة والخاصة .

٩ - معـارضـة المعنــويـات والـروحيـات والغيبيــات في العقيـدة والشريعة والاخلاق .

١٠ - إدخال الشبهات والاسرائيليات في العقائد والتاريخ .

١١ - تشجيـع الهجـوم على السنـة المحمديـة والتشكيـك فيهـا وفي المصادر الإسلامية الاخرى .

١٢ - مـواجهـة مـوجة إقبـال الشبـاب مـن الجنسين على الالتـزام بالتعاليم الإسلامية .

---

(١) د . جبر محمد حسن . بحث «الحركة الصهيونية من داخلها» .

١٣ - التحـرى الدقيـق عن الآبـاء الـروحيين المعاصريـن للأفكـار وتشويه سمعتهم .

ولقد حرصت دولة اسرائيل على محاربة الـدين الإسلامي في نطاقها المحلى تطبيقـا للمبادىء التـى وضعتها الصهيـونيـة فعمدت الى إجبـار التلاميـذ المسلمين على دراسة اللغة العبريـة والديـانة اليهوديـة وحفظ التوراة ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الإسلامي .

وتطـاولت اسرائيـل على القرآن الكـريم فطبعـت في عامـى ١٣٨٠ هجرية و١٣٨٨ هجـرية نسخا مزورة من المصحـف الشريف اسقطت منهـا بعض الالفـاظ او بعـض الآيات واحيـانـا سـورة بحذافيرهـا او تناولت بعـض الالفاظ بالتحريف تبتغـى بذلك تحريف بعـض المعانى القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله . (١)

ولا تقـف الصهيونيـة وحيـدة في حربها لـلإسـلام بـل تتعاون مـع الصليبية في هذا المجال حيث يعتبرون الاسلام هو العدو الخطر الوحيد الـذي يهدد كيانها ولـذا فإنهم يعـدون المؤامـرات الخبيثة لتفـريغه مـن قلوب المسلمين حتى يصبحوا ممزقين مفتونين لا قوة لهم ولا هدف .

وهم في مخططاتهم يوصون بـالتهجم على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلـم والنيل مـن صدق رسـالته وجعـل المجتمعات الاسـلامية مجتمعـات دنيويـة لا عـلاقـة لها بالـديـن ، وتشجيـع الانظمة المتنكـرة للاسـلام ودعمها ، والتخطيـط لايجاد امثالها في الـدول المحافظـة التى تسمح بالنشاط الإسلامي .

---

(١) د . على جريشة ومحمد شريف الزيبق - مرجع سابق .

الهجوم على الإسلام مخطط شيوعى

الشيوعية مذهب مادى يقوم على العداء لكل الأديان السماوية وخاصة الإسلام فقد قامت على مبدأ يعتبر الدين أفيون الشعوب واعلنت منذ قيامها العداء للاسلام باعتباره الدين العالمى الصالح لقيادة البشرية كلها وقد برز عداؤها هذا فيما تفعله الانظمة الشيوعية مع الاقليات المسلمة في البلاد التى يسيطر عليها مثل الاتحاد السوفيتى والصين وبلغاريا ورومانيا والفلبين واثيوبيا ويوغسلافيا وقد سمعنا وشاهدنا ماحدث ويحدث للمسلمين في هذه البلاد من اضطهاد وتعذيب وحرب سواء في الدين أو في الدنيا .

ولا تكتفى الشيوعية بنشر افكارها التخريبية فقط في البلاد التى تسيطر عليها بل تسعى لنشر هذه الافكار في البلاد الاسلامية ذاتها من خلال اذنابها ورجالها الذين يكونون الاحزاب الشيوعية التى تسعى لحرب الاسلام والتشكيك في اصوله ونشر الفرقة والخلاف بين المسلمين . (١)

ولقد أعد الشيوعيون مخططا رهيبا للقضاء على الاسلام وقدموه لعبيدهم وأذنابهم المسخرين في البلاد الاسلامية لينقذوه .

وتشير الوثيقة الخاصة بهذا المخطط والتى نشرتها مجلة «كلمة الحق» في عددها الصادر في المحرم ١٣٨٧ هجرية نسيان ١٩٦٧م الى ضرورة اتخاذ الإسلام نفسه كأداة لهدم الإسلام وقرروا في ذلك مايلى :

---

(١) مقال للمؤلف نشرته مجلة «رسالة الجهاد» - مرجع سابق .

١ - مهادنة الإسلام ليتم الغلبة عليه .

٢ - تشويه سمعة علماء الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ - تعميم دراسة الشيوعية في جميع المعاهد والكليات لمزاحمة الاسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الشيوعية .

٤ - الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد الإسلامية مهما كان شأنها ضعيفا ، والعمل الدائم بيقظة لمحو اى انبعاث دينى ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو الى الدين ولو أدى الى الموت .

٥ - محاصرة الاسلام في كل الجهات وإلصاق التهم به وتنفير الناس منه بالاسلوب الذي لا ينم عن معاداته .

٦ - تشجيع الكتاب الملحدين واعطاءهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الدينى والتركيز في الاذهان على ان الإسلام قد انتهى عصره ولم يبق منه الا العبادات الشكلية .

٧ - قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعا باتا والتفريق بينهم .

٨ - نشر الافكار الالحادية وكل فكر يضعف الشعور الدينى والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في علماء الدين .

وتفصح الوثيقة عن اسرار اخرى فتقول : «وفي المحيط العربى كله يعمل انصارنا بجد وقد استطاعوا الوصول الى المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ويزاد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثورى» .



الهجوم على الإسلام هدف تغريبى

الهجوم على الأديان عـامة هدف واضح من أهداف التغـريب حيث تسعى القوى المعاديـة للإسلام والساعية الى تغريـب مجتمعاته الى انكار الديـن واعتباره طـورا متخلفا مـن أطوار التقـدم الاجتماعى، وفصـل الاسـلام عـن السياسـة وعـن الاخـلاق والحملة على العقـائد والقيـم واذاعة الفرقة والخصومة بين الاديـان والاجناس كما تسعى هذه القوى التغريبية الى فرض الفلسفات المادية بما تحتوى من احقاد وأهواء وأوهام الإلحاد، وانكـار ما لا يخضـع للتجـربـة وادعاء المنهجيـة في البحـث، وإشاعـة مفهوم الماديـة في العلاقـات الإنسانيـة والحياة الاجتماعيـة عن طريق نظرية فرويد التى تصور الانسان حيوانا تحكمه غريزته.

وهذه هي اهـداف الغزو الفكرى والثقافى، وقد أرجـع بعض الباحثين حركة الغـزو الثقافى الاولى الى عبدالله بن سبأ ثم عبـدالله بن المقفع والى مدرسـة الزنادقـة المشهورة التى بـرز فيها ابو نـواس وبشار بن بـرد ثم تشكلت هذه الدعوة المسمومة في حركات ضخمة كالراوندية والباطنية والقرامطة وهي قوى فكـرية ساندتها قوى سياسية وقامـت مناهج هذه الحركات على المخططات التى وضعها زعماء الحركـة الوطنية في رسائل «إخـوان الصفـا» وقد جمعـت هـذه الحركـة دعـاة الـوثنية مـن اليهـود والنصارى في اطـار المجوسيـةالقديمة والفلسفـة الاغريقيـة وفلسفات الفرس والهنود القـديمة والمستمدة أساسـا من علم الاصنام اليـونانى، وقد شمل هـذا المخطط كله دعوة حـارة الى الشعوبية وخصومة شديدة

للاسلام والفكر الإسلامي والعرب جعلت من أهم أهدافها السرية اضافة الاسرائيليات الى الاصول الاسلامية لإفسادها وتدميرها.

وقد برزت قوى الزنادقة والملاحدة والشعوبية في مجال الأدب العربي خاصة والفكر الاسلامي عامة وكان مجال التأليف أبرز مايدين عملهم فاذا نظرنا اليوم الى حركة التغريب والغزو الثقافي المعاصر نجد نفس الاتهامات والادعاءات تتجدد مع اختلاف في أساليب الأدب والنشر.

ولقد سعت حركات التغريب الحديثة الى تزييف حقائق الإسلام وتفريغه من محتواه الحقيقي وجوهره الرفيع، وعمل التغريب عن طريق الاستشراق في جميع الميادين على بث سمومه بغية توهين قيم الإسلام في نفوس اصحابه واشاعة روح الشك والاستهانة وإثارة الشبهات حتى ينتقص الاسلام في نظر اهله.

ومن ثم فانهم يعلون من شأن الفرق الضالة والدعوات المنحرفة كالاعتزال والتصوف الفلسفي والباطنية واخوان الصفا دعاة وحدة الوجود والحلول وشعر الزنادقة.

ويرمى التغريب الى غاية هي التشكيك في قوة المنهج الاسلامي وإضعاف العلاقة بين المسلم وبين الاسلام كدين وكمجموعة من القيم والمبادىء العليا(١).

ذلك أن سياسة القوى الاجنبية لا ترحب بقوة الإسلام في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ولا ترحب باتجاه الشباب في هذه المجتمعات الى الايمان بالاسلام والتمسك به لان قوة الإسلام حين تبرز تحول دون عملية النهب العالمي الذي يقوم به الغرب للإمكانات

---

(١) أنور الجندي- أهداف التغريب في العالم الإسلامي.

الاقتصادية في عالم الاسلام ولذلـك فهي تحاول أتروج لمفهوم إسلامي زائف يوصف بالتسليم أو الخلط بين مفاهيم الاديان والايديولوجيات بحيث يختفى تماما تميز الاسلام الواضح .

وهم يدعون في هذا المجال الى عدة امور هي :

١ - احياء الفـرق القديمـة وانشاء فرق جـديدة وذلـك للعمل على تدمير مفهـوم الاسلام الاصيـل الجامع ، وقد عمـد التغريـب في ذلك إحياء دعوات الباطنية والاباحيـة والالحاد وانكار الاديان ، وقد كانت الماسونيـة على رأس هذه الدعوات كما ظهـرت دعوات هدامة جـديدة هي البهائية والقـاديانية وهي حركات بديلة ووريثـة للقرامطة واخوان الصفا والاسماعيلية مع تعدد الاسماء واختلاف الازمان .

وقد عمدت دول الاستعمار على تبنى هذه الحركات الهدامة وحمايتها للدس ضد الإسلام وهدم قوائمه والتشكيك في شريعته وأصوله .

٢ - وحدة الاديان : وهي دعوة ترمى الى انتقاص مكانة الاسلام .

٣ - الاسرائيليات : وهي اضافات خطيرة ونظريات باطلة اقتبست من نصوص قديمة وثنية ومجوسية وتسربـت الى المفاهيم الاسلامية من قبل خصوم الاسلام واعدائه لعزله عن جوهره الاصيل .

٤ - احياء الفكـر الوثنى عـن طريـق طرح الشبهات حـول العقيدة واحياء الفكر الباطنى والفلسفات الاغريقية القديمة والفلسفات المادية الحديثة .

٥ - افساد المصادر والمراجع التى يعتمـد عليها المسلم في فهم عقيدة الإسلام وتاريخه ، فقد عمد التغريب والغزو الفكرى في خطتهما الرامية إلى تدمير مفهـوم الاسلام الصحيـح الى هذا الإفسـاد وذلك بـالسيطرة على دوائر المعارف العالمية واشاعة سمومهم في الإسلام ورسوله وكتابه

وذلك مانجده في جميع دوائر المعارف البريطانية والامريكية وفي الكتب التى الفهـا المستشرقون والمنصرون وهنـاك العـديـد من هـذه الكتـب المترجمة للغة العـربية بقصـد افساد مفـاهيم الاسـلام في مختلف قضـايا الفكر والاجتماع والسياسة والتاريخ .

وهذه المؤلفـات وغيرها تـرمى الى اثـارة الشبهات حـول التوحيـد والنبـوة والوحـى والقـرآن ، ومحاولة الادعـاء ببشريـة القرآن وانتشـار الاسـلام بالسيـف ، وشبهة التشـابه فيما بين القـرآن وبين مافي الكتـب السابقة كالتوراة والانجيل وكلها شبهات رد عليها الباحثون .

وفي مجال احياء التراث جرى احياء عدد مـن الكتب المضللة امثال : رسائل اخـوان الصفا وألـف ليلة وليلة والاغـانى فقـد عمدت حـركة التغريب الى اعتبار كتاب الاغاني مـرجعا وكتاب الف ليلة مصدرا على الرغم من محاذير الاعتماد على هذا النوع من التأليف .

فمـؤلف الاغـانى رجـل تصفـه المصادر بـالاسفاف والاضطـراب وكتاب الـف ليلة وليلة هو جماع قصصـى فارسى وخرافـات واساطير منذ مـاقبل الاسـلام وقد اختلط وأضيـف اليه أقـاصيص الـرواة وهو بذلك لا يمكـن ان يكون مصدراً لرسم صورة المجتمـع الاسلامي على حقيقته .

وأما رسائل اخوان الصفـا فهي تمثل الفكر الباطنى المجـوسى الذي حمله الزنادقة الحاقدين على الاسـلام واللغة العربية ولهم صلتهم المريبة بالحركات السرية التى كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامي(١).

---

(١) المرجع السابق .

حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء

سب الرسول صلى الله عليه وسلم مخطط قديم بدأ بشكل فردى مع بدء الرسالة وتكليف الحق سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحملها وتبليغها إلى الناس جميعا .

ولقد ذهب عامة أهل العلم كما يقول الإمام ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» الى ان من سب الله سبحانه او سب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أو احد انبيائه المعروفين والمذكورين في القرآن الكريم يعد كافرا ومرتدا ان كان مسلما ويعد محاربا ان كان ذميا ويجب قتله بالاجماع .

فالساب إن كان مسلما ومقرا بكل ما انزل الله فانه يقتل بسببه هذا وقد اجمع الائمة الأربعة على وجوب قتله ، وان كان ذميا فانه يقتل ايضا في مذهب مالك وأهل المدينة واحمد وفقهاء الحديث .

وقد قال ابن عمر : من شتم النبى صلى الله عليه وسلم قتل .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : يقتل وذلك انه من شتم النبى صلى الله عليه وسلم فهو مرتد عن الاسلام ولا يشتم مسلم النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قتل خالد بن الوليد رجلا شتم النبى صلى الله عليه وسلم ولم يستتبه .

والآيات الدالة على كفر الشاتم وقتله أوعلى أحدهما إذا لم يكن معاهدا وكان مظهرا للاسلام كثيرة مع ان هذا مجمع عليه كما تقدم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم ﴾ «التوبة ٦١» الى قوله تعالى ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ﴾ «التوبة ٦١» الى قوله ﴿ ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم﴾ «التوبة ٦٣» .

فإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم محادة لله ولرسوله لان ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة ، والايذاء والمحادة كفر لانه سبحانه أخبر أن له نار جهنم خالدا فيها فيكون المؤذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كافرا عدوا لله ورسوله ومحاربا لهما .

● ويقول تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الأذلين﴾ «المجادلة ٢٠» .

ولو كان مؤمنا معصوما لم يكن أذل لقوله تعالى ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ «المنافقون آية ٨» .

● ويقول تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ «المجادلة ٢٢» .

فإذا كان من يواد المحاد ليس بمؤمن فكيف بالمحاد نفسه وقد قيل ان من اسباب نزول هذه الآية ان أبا قحافة شتم النبى صلى الله عليه وسلم فأراد الصديق قتله ، أو أن ابن أبى تنقص النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابنه النبى في قتله لذلك ثبت ان المحاد كافر حلال الدم .

● وقوله تعالى : ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ماتحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما

كنا نخوض ونلعب، قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ «التوبة ٦٤- ٦٦».

وهذا نص في ان الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر فالسب المقصود هو كفر بطريق الاولى.

● وقوله تعالى: ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ﴾ «الاحزاب ٥٧» ففي هذه الآية قرن الحق سبحانه أذاه بأذى رسوله كما قرن طاعته بطاعة رسوله فمن أذى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أذى الله تعالى، وهؤلاء لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ومن لعنه الله وطرده من رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا.

● ولو نظرنا الى السنة المطهرة نجد الحديث الذي رواه ابو داود في سننه وابن بطه في سننه: أن يهودية كانت تشتم النبى صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها «أي اهدره» فهذا الحديث دليل على قتل الذمى اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل المسلم والمسلمة الساب هنا بطريق الاولى.

وقد قال الامام الشافعى إن الذمى اذا سب قتل وبرئت منه الذمة واحتج على ذلك بخبر ابن الاشرف اليهودى الذي رواه عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الاشرف فإنه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا يارسول الله أتحب ان اقتله؟ قال: نعم.

وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من سب نبيا قتل ومن سب أصحابه جلد» .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : هجت امرأة من حطمه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «من لى بهاء» فقال رجل من قومها : أنا يارسول الله فنهض فقتلها .

● وسب النبى صلى الله عليه وسلم يتعلق به عدة حقوق اولها : حق الله سبحانه من حيث إن الساب قد كفر برسوله وعادى افضل اوليائه وبارزه بالمحاربة وطعن في كتابه ودينه فان صحتها موقوفة على صحة الرسالة . كما ان الساب قد طعن في الوهية الله سبحانه لان الطعن في الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وانكار لكلامه وامره وخبره وكثير من صفاته .

وثانيها : حق جميع المؤمنين من هذه الامة ومن غيرها من الامم فان جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا امته وقيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به فالسب له اعظم عندهم من سب انفسهم وآبائهم وابنائهم .

وثالثها : حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث خصوص نفسه فان الانسان تؤذيه الوقيعة في عرضه اكثر مما يؤذيه اخذ ماله واكثر مما يؤذيه الضرب ، وهتك عرضه قد يكون أعظم عنده من قتله لان قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما ان موته لا يقدح في ذلك بخلاف الوقيعة في عرضه فانها قد تؤثر في نفوس بعض الناس .

فالسب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ماليس في الكفر والمحاربة .

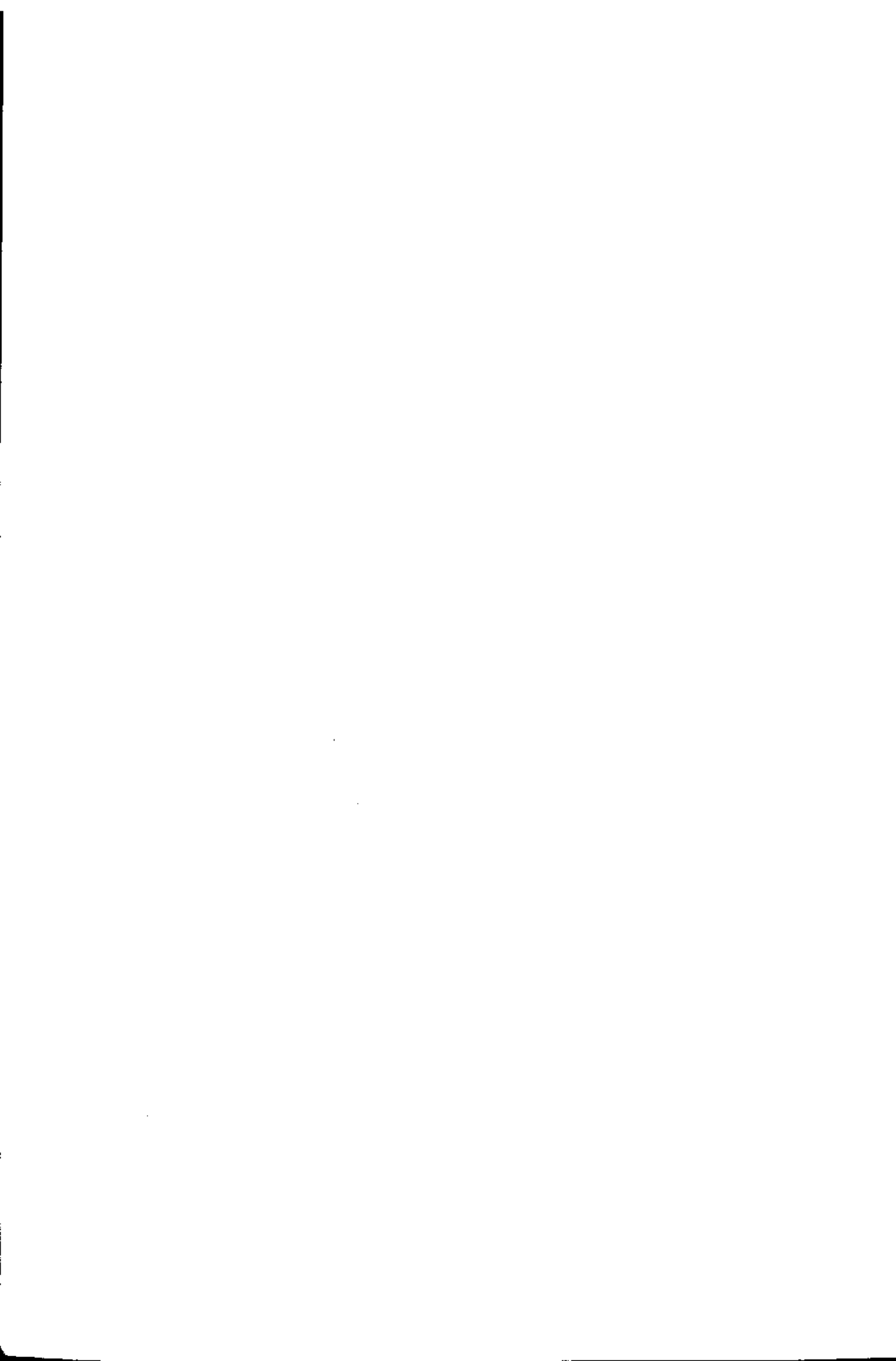
وجنايـة السب هذه تـوجب القتل لما تقـدم من قولـه صلى الله عليه وسلم «مـن لكعب بـن الاشرف فإنـه قد آذى الله ورسـوله» فعلـم من ذلك ان من آذى الله ورسوله كان حقـه ان يقتل، . ولما تقدم من اهدار النبى صلى الله عليه وسلم دم المرأة السابة ولما تقـدم من الاحاديث ومن اقوال الصحابة رضى الله عنهم.

كما أن سب الرسول صلى الله عليه وسلم مـع كونه من جنس الكفر والحراب فهو اعظـم من مجرد الـردة عن الاسـلام لانه مـن المسلم ردة وزيادة فاذا كـان كفر المرتد قد تعلو لكـونه قد خرج عن الـدين بعد ان دخل فيه فـاوجب ذلك قتله عينـا فكفر الساب الذي آذى الله ورسـوله وجميع المؤمنين من عباده اولى ان يتغلظ فيـوجب القتل عينا لان مفسدة السب في انواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة.

وتطهير الارض مـن إظهار سـب رسـول الله صلى الله عليه وسلـم واجب بحسب الإمكان لانه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمته وكون الدين كله لله فحيث ما ظهر سبه ولا ينتقـم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهـرا ولا كلمة الله عالية وهـذا كما يجب تطهيرها من الـزناة والسراق وقطاع الطريق بحسـب الامكان بخلاف تطهيرها من اصل الكفـر فانه ليس بواجب.

وقتل سـاب النبى صلى الله عليه وسلم وان كـان قتل كافر فهـو حد من الحدود وليس قتلا على مجرد الكفر والحراب بل هو خيانة زائدة عن مجرد الكفر والمحاربة وقد قال ابن عباس رضى الله عنه:

«أيما مسلم سب الله أو سب أحدا من الأنبيـاء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فإن رجع وإلا قتل».



الفصل الثاني

استغلال الأدب في محاربة الإسلام



الفصل الثاني

استغلال الأدب في محاربة الإسلام

الصراع بين الحق والباطل صراع دائم ومستمر منذ خلق الله الارض ومن عليها والى ان تقوم الساعة وهذا الصراع تختلف صوره واشكاله من عصر لآخر ولان الحق واضح وظاهر فقد تفنن الباطل وجنوده في محاربته بشتى الطرق والوسائل الى ان وصل الحد الى استخدام الادب والفن كوسيلة لمحاربة الحق وتشويه صورته.

وموجة استخدام الادب في محاربة الاسلام بدأت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على يد شعراء الكفر والالحاد الذين استغلوا موهبتهم الشعرية في نظم القصائد التى هجوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطاولوا بها على الاسلام وشريعته.

وقد اتسعت هذه الموجة في العصر الحديث عندما سقطت أساليب الغرب في محاربة الاسلام امام موائد البحث العلمى ولم يبق من هذه الاساليب سوى الاسلوب الادبى فالقصة او المسرحية تعطى لاصحاب المطابخ هناك فسحة بعيدا عن البحث العلمى الجاد، وهذا الاسلوب نجح الى حد ما في تشويه الإسلام وافساح الطريق لمذاهب ليس للاسلام فيها اى نصيب ومن هذه المذاهب خرجت السحب الداكنة لحجب النظرة الاسلامية وتم تدوين القصص المليئة بالهزل والسخرية نظرا لان هذا النوع له مفعول اكيد في موات القلوب وطمس روح الإيمان.

والقصة والمسرحية هي لعبة الغرب امس واليوم وغدا ولنسمع ماقاله توفيق الحكيم عن مسرحية «محمد» التى كتبها «فولتير» حيث قال: قرأت لسنوات خلت قصة فولتير التمثيلية «محمد» فخجلت ان يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبى صلى الله عليه وسلم سبا قبيحا عجبت له وما أدركت له علة لكن عجبى لم يطل فقد رأيته يهديها الى «البابا بنوا» الرابع عشر بهذه العبارات:

«فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجابا بالفضيلة اذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة ماكتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية والى من غير وكيل رب السلام، فلتأذن لى قداستك في ان اضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة، وانى مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك المقدستين» فولتير ١٧ أغسطس ١٧٤٥م.

ويقول توفيق الحكيم: «لقد قرأت بعد ذلك رد البابا «بنوا» على فولتير فألفيته ردا رقيقا كيسا لا يشير بكلمة واحدة الى الدين وكله حديث في الأدب.

وعلمت في ذلك الوقت أن «روسو» كان يتناول بالنقد أعمال «فولتير» التمثيلية فاطلعت على ماقاله في قصة «محمد» علنى أجد مايرد الحق الى نصابه فلم أر هذا المفكر الحر أيضا يدفع عن النبى صلى الله عليه وسلم ما ألصق به كذبا، وكأن الأمر لا يعنيه، وكأن ماقيل عن النبى صلى الله عليه وسلم لا غبار عليه ولا حرج فيه ولم يتعرض الا من حيث هي - أي القصة - أدب وفن. منذ ذلك اليوم وأنا أحس

كأنى فجعت في شيء عزيز لدى هو الايمان «بنزاهة الفكر الحر».

ثم يقول توفيق الحكيم بعد ان فجع في حرية الفكر على حد قوله: «على ان الذي يدعو الى الدهشة اكثر من كل هذا ان الشرق والاسلام وقفا من الامر موقف النائم الذي لا يعى ولا يشعر بما حدث حوله، لقد كان الشرق الاسلامي في ليل هادىء بهيم لم تثر فيه حركة «فولتير» يومئذ ساكنا»(١)

واذا كان فولتير قد قبل الاقدام عام ١٧٤٥م فان «بريدو» الانجليزى قد قبل الاقدام عام ١٧٣٣م وقدم كتابه «حياة ذى البدع» وفيه أشبع الإسلام سبا.

وقبل هذا وذاك قام «اسكندر دوين» بتقبيل الاقدام عام ١٢٥٨م وكتب عن نبى الإسلام كتابا يتضمن الكثير من الاضاليل.

وهكذا اتجه اعداء الاسلام الى أساليب متعددة لمحاربة الإسلام والحط من شأنه ورميه بالاكاذيب والاضاليل. (٢)

واذا كنا نتحدث عن استغلال الادب بأشكاله المختلفة في محاربة الاسلام فان الثلاث روايات التى يتناولها هذا البحث هي مثال صارخ لهذا الاستقلال «فأولاد حارتنا» و«الآيات الشيطانية» و«مسافة في عقل رجل» روايات كتبت خصيصا للهجوم على الاسلام وعلى نبى الإسلام بل والتطاول على الحق سبحانه وعلى الغيب وعلى انبياء الله ورسله.

ولقد ظهرت «الآيات الشيطانية» وكأنها لم تكتب الا لهذا التطاول المسف الخالى من اى فكرة وغرض - على حد قول الدكتور محمد يحيى استاذ الادب الانجليزى بكلية الآداب جامعة القاهرة- وكأن الهدف

---

(١) سعيد أيوب: سلمان رشدي - الرجل المارق. (٢) المرجع السابق

الحقيقى من وراء هذا العمل كان استغلال سيطرة «سلمان رشدى» على حرفة الصنعة الروائية في اشكالها الحديثة للخروج بضربة دعائية اخرى توجه للاسلام في الغرب .

والحقيقة ان هذا الاسلوب يعمم الآن على نطاق اوسع في العديد من الاعمال الادبية وهذا الاسلوب هو استخدام عناصر ادبية وفنية مؤثرة ارتبطت في أذهان القراء وتجاربهم بقيم كالتسلية والفكاهة او المغامرة والترويح وتوظيفها في الهجوم على الاسلام بصورة او بأخرى وهنا فان هذا الهجوم يتخذ شكل التطاول على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واهل بيته وتشويه طبيعة الايمان الدينى .

فالضجة المضادة لرواية «الآيات الشيطانية» كانت اذن مبررة ومفهومة ولا تمثل تعصبا خطيرا او همجية جديدة كما حاولت الدوائر العلمانية وغير العلمانية في الغرب والبلاد الاسلامية ان تصورها فليس الامر مجرد رد فعل اهوج على بضع صفحات وردت هنا أو هناك في عمل فنى تهاجم الاسلام ببذاءة واسفاف وانما هناك شعور باستغلال الفن في شكل خداعى بغيض على الوجه الموضح في الفقرات السابقة وهو استغلال أصبح الآن مطروحا على الساحة بطريقة مبرمجة ومخططة تتطلب بالفعل ردا ومواجهة لتوضيح ان هذه الاعمال ليست فنية ادبية جادة في حقيقتها ولو لبست ثوب الادب الخارجى ولكنها خرجت من نطاق الفن الاصيل الى نطاق اساليب الدعاية والتأثير التى تهرب من المواجهة الفكرية الصريحة لتتستر وراء ادعاءات الفن وتطلب حصانته .

وهذا في الحقيقة خداع وغش فنى يقدم للناس اعمالا دعائية غير مكتملة فنيا على انها اعمال فنية جادة والحقيقة ان موجة الاعمال المهاجمة

للاسلام ولجوانب من نشاطات الحركات الاسلامية تمثل استخداما للادب في غير موضعه الذي تعارف عليه اهل النقد. (١)

وتأكيدا لمدى استغلال الادب في محاربة الاسلام والدعاية المضادة له تبين للقارىء المسلم استغلال التنصير ودعاته لمجال الثقافة والادب كوسيلة لنشر افكاره الضالة وبث سمومه فلم ينته الامر بهذا المخطط الآثم الى الاعتماد على التعليم ووسائل الاعلام والخدمات الاجتماعية الطبية كوسائل لنشر افكاره بل يسعى لاستغلال الادب والثقافة حتى تتسع دائرة نشاطه ويصل الى اكبر عدد ممكن من المسلمين وغير المسلمين فقد قام زعماء التنصير بتأليف الكتب والقصص والروايات التى تدعم نشاطهم حتى اشتهر في عالم الادب مايسمى «بالادب التنصيرى» وهو -على حد قول الدكتور نجيب الكيلانى- يتمثل في الوان الادب المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة ونصوص سينمائية وخاطرة والتى تحمل في طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتنفير من الاسلام وغيره من الاديان الاخرى.

ولم يكن الادب التنصيرى يسير وحده فقد نسق مع جهات اخرى كثيرة تشترك مع التنصير في المصلحة والهدف وركز على مناهج التربية والتعليم في البلدان التى وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة سياسيا وعسكريا وفكريا.

ولم يقع الادب التنصيرى في السذاجة والسطحية فقد استخدم الامكانات الفنية المتاحة له والمجربة في بلاده بدهاء وحنكة بالغين فمزجت فنونه السم بالدسم كما يقال ولجأت الى التلميح بدلا من

(١) د. محمد يحيى - الآيات الشيطانية - الظاهرة والتفسير.

التصريح واستخدمت الرمز وألوان الاثارة والتشويق ونأت بجانبها عن السرد الاجوف والتعبير المباشر الممل ووظفت الايحاءات توظيفا ماكرا، ورسمت حركة الحياة والافراد وانماط السلوك رسما يتفق ومعتقداتها ويبعد بها عن النماذج الاسلامية العريقة.

ويواصل الدكتور الكيلانى حديثه عن الادب التنصيرى قائلا: والواقع ان القصة كانت المجال الخصب للدعوات التنصيرية في كل مكان حتى في روايات «دراكولا» مصاص الدماء نجد في احدهما: الضحية في آخر الفيلم وهو يدفن في حفرته نراه بعد ان اهيل عليه التراب يرفع يده بالصليب.

وهذه الروايات التنصيرية في عمومها تتخذ منهجا خاصا يمكن ان نوجزه في الآتى:

■ أولا: مكان الحادثة: يبدو لاول وهلة مكانا متميزا غريبا يشد الانتباه ويقبل عليه الصغار والكبار والنساء والرجال على حد سواء، وقد يكون هذا المكان في غابات أفريقيا حيث الوحوش المختلفة والطيور ذات الالوان الغريبة والقبائل ذات التقاليد والاعراف التى تلزمك بالاصغاء والانتباه.

■ ثانيا: تصوير القساوسة والرهبان ورجال الدين بصورة ملائكية فريدة فهم يخوضون الاخطار دون خوف ويقتحمون المشكلات في حلم وروية ويتسمون بجمال الملامح ورقة المشاعر وجلال المظهر وتألق الثياب.

■ ثالثا: يتصف «رجل الله» بالصبر والحلم وتقديم التضحيات - دون مقابل كما يقال - ولا تيئسه الهزائم او تنال من عزمه النكبات.

■ رابعـا : يحرص ابطـال القصـة الدينيـون على تلمـس مشكـلات المجتمع والاحتيـاجات الملحة للنـاس ويقومـون بسد النقص وتقـديم الخدمـات فنـرى في العمـل الادبـى كيـف ينشئـون المدارس الصغيرة ويقيمون المستوصفات المبسطة للرعاية الصحية ويعقدون الاجتماعات الدينية للدروس والعبادة .

■ خامسا : تقـديم المنح والمساعـدات الدراسية لمن يلتحق بـركبهم وإبرازه في صورة الانسـان المتحضر الواعى والذي تغيرت حيـاته تغيرا جذريا لسبب رئيسى واحد ألا وهو اعتناقه للنصرانية .

■ سادسـا : التنفير من الانحـرافات بـأسلوب فنـى ناجـح وتجنب الصدام في البـداية مع العـادات والتقاليد العتيقـة ومعالجتها بـأسلوب رقيق ماهر .

■ سابعـا : تسليط الضوء على نماذج مـن الرجال والنسـاء يضحون بحياتهم ويبذلون دماءهم من اجل سعادة الانسان ورقيه .

■ ثامنا : يعمد الكتاب التنصيريون أساسا الى البساطة في الاسلوب مهما كان المعنى عميقا وتجنب التعقيد والغموض .

■ تاسعا : النيـل بطريق غير مباشر مـن مختلف العقائد والديـانات المنافسة واظهـارها بمظهر الانحراف والخمول والدجـل وتقديم نماذج قصصية او مسرحية تبلور هذا التصور بطريقة حية مؤثرة .

■ عاشرا : التغنـى بالقيـم العليا التى يحلـم بها المستعيدون والـذين انهكهم الخوف والفقر والجهل والاهمال ونقصد بها قيم العدالة والحب والخير والاخاء بين بنى البشر .

هـذا ويحرص الادب التنصيرى على الحفـاظ الشـديـد والتمسـك الكبير بالقيم الجمالية للشكل الفنى لانـه بدون ذلك لا يمكن ان يتحقق

الهدف وينجح المخطط الموضوع . (١)

والواقع ان الحركة التنصيرية كحركة معادية للاسلام تضع الادب وفنونه في المكان الصحيح فهي تخطط له وترصد له الامكانات المادية الكافية وتهتم بترجمته الى عديد من اللغات حتى يؤتى اكله في كثير من مناطق العالم ، وتتكفل بحملات اعلان عنه وتوعز الى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم ، وترصد له الجوائز العالمية الكبيرة ، وتجعل منه مصدرا لاعمال سينمائية وتليفزيونية ومسرحية ، وتستنهض همم كبار الكتاب للمشاركة فيه وتنعم عليهم بارفع الاوسمة ، وتعرضه باسعار رمزية وبشتى الوسائل .

والادب التنصيرى الغربى ليس في الحقية مجرد تبيان لمحاسن واخلاق الرجال المنصرين وذلك بسبب انتمائهم العقيدى فحسب ولكن هناك ماهو اخطر من هذا التصور اذ يهدف هذا الادب الى :

١ - توهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقيدى والسلوكى .

٢ - التمهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقا بالاتجاه الدينى النصراني .

والهدفان في الواقع امر واحد برغم تجزئته ولعله يفسر شيوع السلوك الغربى المنافى لعقيدتنا في السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل القيام بالفرائض والتخلي عن السنن والآداب الاسلامية ، وتقبيل أيدى النساء والاختلاط غير المشروع بهن والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والعفة والالتزام الدينى . (٢)

---

(١) الدكتور نجيب الكيلاني - مقال «الأدب التنصيري» - مجلة الأمة - شوال ١٤٠٤هـ.
(٢) المرجع السابق .

الفصل الثالث

حرية العقيدة والفكر والرأى



الفصل الثالث

حرية العقيدة والفكر والرأى

كثير ممن تطوعوا للدفاع عن عـلاء حامد وغيره من أصحاب الفكر والكتابات الإلحادية المنحرفـة من العلمانيين والشيوعيين قد استندوا في دفاعهم على ان الاسلام والدساتير والقوانين الـوضعية قد كفلت حرية العقيـدة وحريـة الفكر والـرأى وانه لا يجب ان يـؤاخذ اي انسـان على مايفكر فيـه ويكتبه مهما كان هذا التفكير وتلك الكتابـات حتى تتحقق هذه الحرية .

والحقيقة أن هؤلاء ضالون ومضلون لأنهم اخذوا قاعدة عامة وبنوا عليهـا دفاعهـم دون أن ينظروا إلى جـوانب هـذه القاعـدة وحدودهـا ومحاذيرها وسوف يتبين ذلـك واضحا جليا بحديثنا عن حـرية العقيدة وحرية الفكر والرأى في المبحثين التاليين :

المبحث الاول:
حرية العقيدة

حريـة العقيدة يقصـد بها حق الفـرد في اعتناق الـدين الـذي يريـده وحقـه في ممارسـة الشعـائر الدينيـة ، أو حـريـة الايمان بما انزل الله مـن الكتب وبعث من الرسل .

ومن الامور المسلم بها في الاسلام انه ترك للافراد اعتناقه بحريتهم واختيارهم ولم يحملهم على هذا الامر ويدل على ذلك نصوص القرآن الكريم وهي عديدة وتقطع بكفالة حرية العقيدة في الاسلام فيقول تعالى: ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ «البقرة ٢٥٦».

ويقول تعالى: ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ «يونس ٩٩».

وقوله تعالى: ﴿ وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ «ق ٤٥».

وقوله تعالى: ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ﴾ «النحل ١٢٥».

فالدعوة الى الاسلام اساسها الاقناع وغير المسلمين في دار الاسلام هم وشأنهم في عقائدهم ولم يحدث على طول التاريخ الاسلامي ان اجبر احد على دخول الاسلام.(١)

وحرية العقيدة في الاسلام لها جانبان:

● الاول: ألا يجبر احد من اصحاب الديانات الاخرى على الدخول في الاسلام وهذا له أساسه من القرآن والسنة واحوال المسلمين.

● والثاني: أن يكون للمخالفين من أهل الكتاب حقهم في العبادة وفي اقامة شعائرهم الدينية، وألا يكون هناك تدخل في دائرة الاعتقاد

---

(١) المستشار عمر شريف.

الدينى لغير المسلمين، ولا يصح أن تنتقص حقوق أهل الكتاب في أي مجتمع اسلامي لان ذلك يتعارض مع الاسلام ولا يصح ان يكون باسمه . (١).

فكل فرد حر في ان يتبع مايشاء ويؤمن بما اراد وله ان يمارس حريته في العبادة والايمان الكامل شريطة ألا تمس هذه الممارسة لشعائر ملته ما تقتضيه صوالح المسلمين ومشاعر دينهم او ان تكون هذه الممارسة دعوة الشرك أو فساد او تعطيل لاداء المسلمين لشعائرهم أو طعنا فيها فهى اذن حرية مكفولة ومسئولة لا مطلوقة .

وقد وسع الاسلام صدره لمن اراد المجادلة والمناقشة القائمة على العلم والفكر لا التعريض والافساد فقرر حرية المناقشات الدينية والجدل المنطقى فيها لتمكين الناس من الوصول الى الدين الحق والايمان المطلق به وباحكامه وكل ذلك دون ان تنقلب المناقشة الى عمل مضاد يمثل محاربة الدين أو عرقلة له وتقويضا لدعائمه .

فليس من قبيل حرية العقيدة ان يخوض مسلم في امور العقيدة ومايتصل بها من مسلمات ويصل به تفكيره المنحرف الى انكار وجود الله وتسفيه الرسل والانبياء والتشكيك في الكتب السماوية والبعث والثواب والعقاب والجنة والنار كما حدث في الكتب والقصص الادبية المناهضة للاسلام وغيره من الاديان كرواية «اولاد حارتنا» لنجيب محفوظ ورواية «آيات شيطانية» لسلمان رشدى ورواية «مسافة في عقل رجل» لعلاء حامد .

وتأكيدا لمفهوم حرية العقيدة في ظل الاسلام لابد من الاشارة الى عدة امور اساسية هي :

---

(١) د. جمال الدين محمود- أصول المجتمع الإسلامي .

● الأمـر الأول: أن هــذه الحريـة مكفـولــة في المقـام الاول لغير المسلمين من اصحـاب الديـانات الاخـرى او من اهـل الشرك والكفر حيث لا يصـح اجبار هؤلاء على اعتنـاق الاسلام وهـذا ما أكده قـوله تعالى: ﴿ لا اكراه في الـدين ﴾ «البقرة ٢٥٦» ولا يصح منـع هؤلاء من أداء شعائر دينهم بحرية كاملة اذا ما أقاموا في ظل الدولة الاسلامية.

● الأمر الثـاني: أن هذه الحرية تعنى بـالنسبة للمسلم الـذي اعتنق الاسـلام أو ولد مـن ابـوين مسلمين حقـه في ممارسـة شعـائر اسلامـه والتخلق باخلاقه سواء عاش في ظل دولة اسلامية او غير اسلامية.

● الامر الثـالث: ان هذه الحرية بـالنسبة للمسلم لا تعنـى حقه في الارتداد عـن الاسلام واعتنـاق غيره من الاديـان أو البقاء بـلا دين او حقـه في نقد عقـائد الاسلام ومسلماتـه والتشكيك في اصـوله وتسفيـه رسوله والحط مـن احكامه لان ذلك يـوقعه في حد من حـدود الله التى قررهـا الاسلام وثبتت بالقـرآن والسنة والاجماع وهو حد الـردة الذي يقضـى بقتـل المرتد عـن الاسـلام بعـد استتابتـه واصراره على الكفـر والإلحاد فقـد روى البخـارى وابـو داود ان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال «من بدل دينه فاقتلوه».

وروى الجماعة عـن النبى صلى الله عليه وسلم أنـه قال: «لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث: الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

حد الردة وحرية العقيدة:

ولقد ربط البعض بين تطبيق حد الردة وبين حرية العقيدة بدعوى أن اعدام المرتد مناف لمبدأ حرية العقيدة .

وقبل ان نناقش هذه الشبهة ونرد عليها نقدم للقارىء المسلم احاطة سريعة بحد الردة .

فحد الردة من الحدود المقررة في الشريعة الاسلامية وعقوبة هذا الحد هو القتل كما سبق ان بينا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهي احاديث صحيحة من روايات البخارى وغيره من أئمة الحديث الثقاة ، ولقول الحق سبحانه ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ «البقرة ٢١٧» .

والردة في الاسلام لها ركنان :

* الأول : الرجوع عن الاسلام .

* والثاني : القصد الجنائى .

أما الرجوع عن الاسلام فيكون بترك الاسلام بمظاهر تدل على ذلك لا تحتمل التأويل سواء كان ذلك بالقول او الفعل او الامتناع عن فعل .

فيكون بالقول بان يصدر قول من الشخص يتضمن انكار أمر من امور الاعتقاد الثابتة بدليل قطعى كانكار وحدانية الله أو انكار ان القرآن منزل من عند الله سبحانه وتعالى ويكون بالفعل بأن يأتى بفعل يحرمه الاسلام تعمدا او استخفافا به أو عنادا ومكابرة كالسجود لغير

الله تعالى واتيان المحرمات مع استحلال اتيانها كاستحلال الزنا وشرب الخمر .

ويكـون بالامتنـاع بأن يمتنـع الشخص عـن فعل يـوجبه الاسـلام كالامتناع عن اداء الصلاة والزكاة او الحج منكرا لها .

وقد اتفق العلماء على انه لا يفتى بردة مسلم اذا فعل فعلا وقال قولا يحتمل الكفر ويحتمل غيره .

● واما الركن الثاني من اركان جريمة الردة فهو القصد الجنائى لان الـردة جريمـة عمديـة يستلـزم وجودهـا تـوافر القصـد الجنائى لـدى الجانى .

ويتوافر هـذا القصد اذا كان يعلم ان مـافعله او قاله او امتنـع عامدا عـن فعلـه يؤدى الى الكفـر فـاذا انتفـى هـذا العلـم لا يتوافـر القصـد الجنائى .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى انه يكفـى لتوافر هذا القصد الجنائى ان يأتى الجانى الفعل أو القول الكفـري استخفافا أو عنادا او تحقيرا ولو لم يصاحب ذلك نية الكفر .

وتثبت جريمة الـردة بامرين هما : الاقرار وشهادة الشهـود فالاقرار حجة على المقر وتثبـت به الجريمة كما تثبت ايضـا بشهادة رجلين عدلين ويجب أن يفصل الشاهـد في شهادته فتوضح مـانسب الى الجانى ويعتبر كفرا ليتسنى للقاضى تكييف ذلك . (١)

وأما ربـط البعض بين تطبيق حد الـردة وبين حرية العقيدة بـدعوى ان إعدام المرتـد مناف لمبـدأ حريـة العقيدة . وهـذه شبهة مـردودة لان

---

(١) المستشار محمد بهجت عتيبة- الفقه الجنائي الإسلامي .

الـــردة هي خروج المسلم عن دين الاسلام الى دين آخر او الى غير دين وهذا امر غير جائز حسب احكام الشريعة الاسلامية .

وقـد قال الماوردى في الاحكـام السلطانيـة : «الحكـم الشرعى بـان الاقرار بـالحق يوجب التـزام احكامـه والحق هنا هو الاسـلام واحكام الاسلام لا تبيح الـردة ، وتعد الردة جريمـة يعاقب مرتكبهـا بالاعدام وينفذ فيه الحكـم بعد ان يمهل ثلاثـة ايام ليستتاب فيها اي يطلـب اليه العودة الى الاسلام فان اصر على ردته أعدم» .

هذا وقـد اجمع المسلمون في صدر الاسـلام على اعدام المرتد وقـاتل ابوبكر المرتدين واعلن الحرب عليهم وقضى على بن ابى طالب باعدام المرتد .

ومـن جهة اخـرى فان الاسـلام ليس مجرد عقيـدة وانما هو عقيـدة وشريعة هو ديـن ودولة ومن شأن الـردة ان تؤثر على كيان الـدولة وان الـردة تنطوى على الاسـاءة الى الاسـلام بل انها في بعـض صـورها قـد ترادف جريمة الخيانة العظمى وهـي جريمة عقابها الاعدام في التشريع الحديث .

وقد لجأ اليهود في عهد النبى صلى الله عليـه وسلم الى هذا الاسلوب بالـدخول في الـدين جماعة ثـم الخروج منه بقصـد الاساءة إليـه وفيهم نزلت الآية الكريمة ﴿ وقالت طائفـة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الـذين آمنـوا وجه النهـار واكفـروا آخره لعلهـم يرجعـون ﴾ «آل عمران ٧٢» .

فحـد الردة في الاسـلام لـه وجـاهته وقـد جـاء حمايـة للديـن مـن المتلاعبين بـه ولا يتناقض على الإطـلاق مع مبـدأ حرية العقيـدة الذي قرره الإسلام .

حرية الفكر والرأى:

حرية الفكر والرأى تعنى حرية الإنسان في التفكير والبحث وإبداء رأيه والتعبير عنه بكافة الوسائل .

وقد كفل الاسلام هذه الحرية بل انها لم تكن في نظر التشريع مجرد حق للفرد وانما ترقى في بعض الاحيان الى مستوى الواجب الذي عليه ان يقوم به .

وآيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية حافلة بما يؤكد هذه الحرية فالقرآن يدعو الناس الى النظر والتفكير في خلق السماوات والارض، ويدعو الناس إلى ان يبدوا رأيهم أي أن يكون دورهم ايجابيا في هذا المجال قال تعالى :

﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾ «آل عمران ١٠٤» .

وقال تعالى : ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن ﴾ «النحل ١٢٥» .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ حين يقرر بأن الدين النصيحة وبأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ولا يقيد الاسلام الاجتهاد والرأى في المسائل الدينية إلا بما ورد في التشريع الاسلامي من أحكام قطعية وأصول ومبادىء عامة تعتبر من أركان الدين والشريعة ولا تقيد الرأى في المسائل الدنيوية الا بعدم الوصول إلى حد ارتكاب الجريمة والدعوة الى الفتنة . (١)

---

(١) المستشار عمر شريف- مرجع سابق .

وهذه الحرية مكفولة للجميع مسلمين واهل كتاب مادامت لا تحمل على الفوضى أو تثير الفساد والافساد أو تكون ارادة لهدم أسس الاسلام التى جاء بها الشرع الحنيف أو معاداة له او محاولة لفرضه بالقوة وبما يتعارض مع نظام المجتمع والذي يعد مجموعة من الاسس والدعامات التى يقوم عليها بناء الجماعة وكيانها لا يتصور بقاء هذا الكيان من خلال آراء هدامة أو مغرضة قائمة على غير حق أو سند فالاسلام لا يضع قيدا على حرية الفكر الا حماية للدين باعتباره اول الضرورات للانسان فلا يتقيد فكره الا حماية للعقيدة الاسلامية في اصولها التى تقوم عليها واذا نظرنا الى المسألة نظرة صادقة وجدنا ان الفكر الاسلامي غير مقيد لان المسلم هو من يسلم بمعطيات الاسلام الاساسية في العقيدة والشريعة وبغير ذلك لا يكون مسلما ويستطيع المسلم بعد ذلك ان يفكر كما يريد وان يتفكر في اوسع المجالات، وله بل عليه أن يتفكر في خلق السموات والارض وفي خلق الله جميعا وان يعرض ذلك على عقله وان يتناوله من اوسع الجوانب.

ويتعلق بحرية الفكر حرية الرأى لان ابداء الرأى هو اعلان للفكر وبداية لتأثيره في الناس داخل المجتمع ومادمنا قد سلمنا بانه ليس هناك محظورات في مجال الفكر الا مايقصد منه هدم الدين وهو أساس الدولة فقد سلمنا بان من حق المواطن المسلم ان يعلن رأيه فيما يكون من مشاكل الناس والمجتمع الذي يعيش فيه.

حدود حرية الفكر والرأي:

ولقد درجت القوانين والدساتير الوضعية على أن تنص على حرية الفكر والرأى ثم تعقب عليها بأن هذه الحرية في حدود القانون أو ان القانون ينظم حرية الرأى ومعنى ذلك أن مبدأ حرية الفكر والرأى يترك لتنظيم وضعى يضيق ويتسع بحسب المصلحة على اكثر تقدير وبحسب الهوى والغرض في بعض الاحيان.

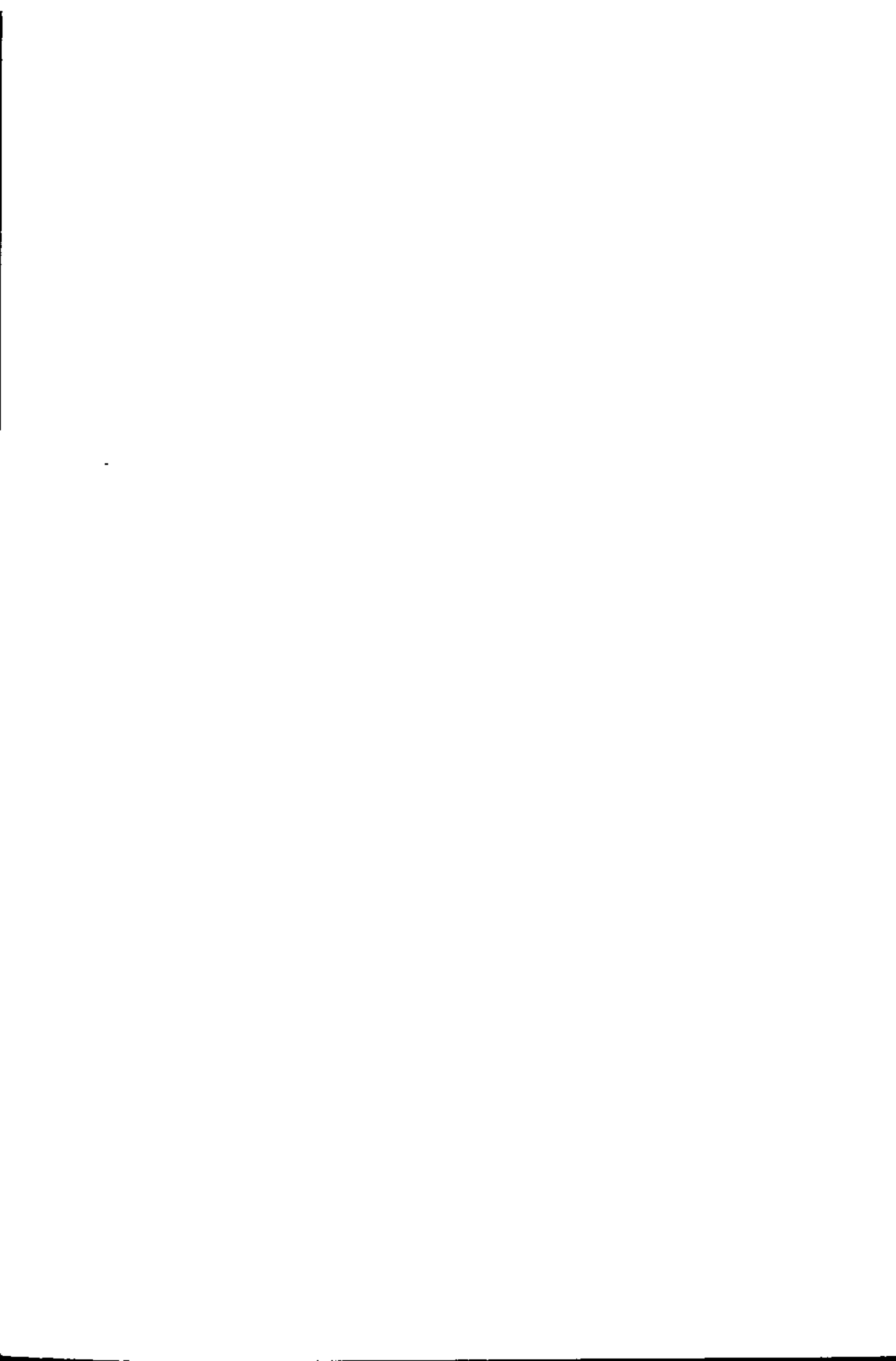
أما حدود حرية الفكر والرأى في الاسلام وعند المسلمين فهي مقيدة بالحفاظ على اركان الدين وهو أساس الدولة فليس من حق شخص يدعى ان يفكر ثم يصل بتفكيره هذا الى نفى الالوهية أو الرسالات السماوية او الطعن فيما هو مسلم به من الدين ويعلن ذلك على الناس.

فالاسلام لا يسمح بذلك تحت أي اسم أو في أية حال فالمعتقدات الاصلية في الاسلام والاصول المقررة في الشريعة ينبغى أن تكون في الدولة الاسلامية فوق حرية الفكر وحرية الرأى وليس هذا قيدا على الحرية وانما هو ضمان اكيد لهذه الحرية وفيما وراء ذلك يستطيع المفكر أن يدلى بما يشاء في شئون الدين - وهو آمن - ويستطيع كل شخص ان يعلن رأيه في نظم الحكم ومسائل السياسة والاقتصاد والحرب والسلم وغيرها وهو في ذلك لا يمكن أن تقيد حريته لان ذلك حق اعطاه له الشرع ولا يخضع الا لمقاييس الشرع ولا يستطيع هوى الحاكم او مصلحته أن يغير منه شيئا. (١)

(١) د. جمال الدين محمود- أصول المجتمع الإسلامي- مرجع سابق.

الفصل الرابع

حارة نجيب محفوظ



حارة نجيب محفوظ

رواية «اولاد حارتنا» لنجيب محفوظ من اقدم الروايات التى وقعت في مخطط الهجوم على الاسلام بل وعلى الاديان كلها وشنت حملة ضارية على كل ماهو مقدس.

وقد أثير الجدل حول هذه الرواية مرتين: الاولى عام ١٩٥٩م عندما كتبها المؤلف وقامت جريدة الاهرام بنشرها مسلسلة حيث احتج عليها الازهر واصدر قراره بمصادرتها وعدم نشرها الا ان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام آنذاك تصدى لهذا الاحتجاج وشجع نجيب محفوظ على الاستمرار في نشرها على ان يحذف منها بعض الفقرات.

أما الثانية فقد كانت عام ١٩٨٨م عندما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الادب وكان من أسباب حصوله على هذه الجائزة قصة «أولاد حارتنا» التى تم ترجمتها الى الانجليزية وصدرت عام ١٩٨١م عن دار هانيمان.

ولا غرابة أن يحصل صاحبها على جائزة نوبل تلك الجائزة التى ينظمها اليهود، لا غرابة ايضا ان يهتم بها دارسو الادب العربى من الاجانب والمستشرقين اهتماما خاصا ويفردوا لها جانبا بارزا من دراساتهم عن ادب نجيب محفوظ فقد وجدوا فيها ضالتهم وادركوا انها قصة تحطم كل ماهو مقدس من الاديان والرسل والكتب والغيبيات ووجدوا ان نجيب محفوظ بكتابته هذه القصة وهذا النبت غير الشرعى قد وفر عليهم شوطا كبيرا في مخططهم الرامى الى حرب

الاسـلام وتسفيـه الـرسل والانبيـاء ونشر الابـاحيـة والالحاد في ديـار المسلمين، وقد حقـق لهم هدفهم الرامـى الى هدم الحصون الاسـلامية من داخلها واستغلال فريق من ابناء المسلمين كمعاول هدم.

ولقد اعترف نجيـب محفوظ ان سلامـة موسـى كان له أثـر قوى في تفكيره وانـه قـد وجهه الى شيئين مهمين هما العلـم والاشتراكيـة او الى الاشتراكية العلمية وهي الماركسية الملحدة.

وجـاء في حيثيات منـح جـائزة نوبـل لنجيـب محفوظ انـه قـد تأثـر بالمفكرين الغربيين مثل ماركس وداروين وفرويد.

وفي تحليـل نقدى للـرواية قـال الـدكتور محمـد يحيى استـاذ الأدب الانجليزى بجـامعة القاهـرة: لقد نشرت الـرواية مسلسلة في جـريدة الاهـرام اليوميـة خـلال الشهـور من سبتمبر الى ديسمبر عـام ١٩٥٩م وجـاءت في سياق تحول ثقـافى مـوعز بـه رسميـا الى الفكـر الشيوعـي والعلماني بوجه عام وضد الاسلام كدين.

وقد كان هـذا السياق ممهدا لإصدار قـانون تطوير الازهـر في العام الذي تلى نشر الرواية التى بشرت ضمن اشياء اخرى بانتهاء دور الدين الى الابد لصالح العلم «الماركسية» ويعنى هذا التصور ان نجيب محفوظ قـد كتـب هـذا العمـل بنـاء على اتجاهات خـارجيـة او لارضـاء قـوى اصبحت تسيطـر في وقت الكتابة على السـاحة الثقافية، امـا السبب في منح صاحبها جائزة نوبل على أساسها فانه يرجع الى اشتمالها على تصور يعلن موت الاله وانتهاء دور الاديان في الحياة البشرية. (١)

ولعل الاستقبال الجديـد لاولاد حارتنا يلقى الضـوء الكاشف على المحددات الهامة لتلقـى وتقويم وفهم وتوظيـف الاعمال الادبية والفنية

---

(١) الطريق إلى نوبل ١٩٨٨ عبر حارة نجيب محفوظ - د. محمد يحيى ومعتز شكري.

بوجـه عام عنـد الشريحة العلمانية في الساحـة الثقافيـة لتطويـع الانتاج الادبى والكتـابة النقديـة والتغطية الثقافية لخدمـة هدفها الاسـاسى في استمرار الهجوم على الاسلام.

والتصور المطروح مـن خلال الحكاية الرمزيـة والذي ينحصر في ما وصف بفكرة موت الاله الذي يرمز لـه الجيلاوى قد وجدناه معروضا على غلاف الترجمة الانجليزية للعمـل الصادر عام ١٩٨١م كما سمعناه على لسان امين الهيئة المانحة لجائزة نوبل وهو يسلم الجائزة، ورأينا هذا الفهم موضع احتفال واصرار التيار العلماني.

وتدل قراءة الـرواية على ان هذا الفهم كغيره مـن التصورات حولها يدل على بعـض الحقيقة وليـس كلها لان الرؤيـة المتضمنة فيهـا تشتمل على التاريخ الدينى للبشرية ومابعده.

الرواية :

وللتعـرّف على تفاصيـل رواية «أولاد حـارتنا» التـى كتبها نجيـب محفوظ عـام ١٩٥٩م في مسستهل المد الشيـوعي والعلمانـى في مصر في ١١٤ فصلا - ببعدد سور القـرآن الكرييم - لتكون قرآنا جـديدا ليس فيه إلا العلم المادى الملحـد فاننا نكتفى هنـا بتقديم العرض الـذي قمنا بـاعداده ونشره في جـريدة الحقيقـة العـدد ٤٦ الصادر في ١٦ رمضـان ١٤٠٩ هجريـة - ٢٢ ابريل ١٩٨٩م - «الطـريق الى نـوبل ١٩٨٨ عبر حارة نجيب محفـوظ» للدكتور محمد يحيى والاستاذ معتـز شكرى وهو الكتاب الذي قدم عرضا لتفاصيل الرواية ودراسة نقدية لها.

فقد ركز الكتاب على رواية أولاد حارتنا التى كانت على رأس حيثيات منح صاحبها جائزة نوبل وتعد بحق رواية ملحدة بكل المقاييس حيث تصور الله والانبياء والرسالات السماوية على غير الحقيقة الايمانية وترسى مبادىء الاشتراكية العلمية والماركسية الملحدة بديلا للدين والالوهية والوحى وهذا ماجعل الازهر الشريف يحتج عليها ويصدر قراره بمنع نشرها ومصادرتها .

وهذا الكتاب يدخل بالقارىء الى حارة نجيب محفوظ ليرى داخلها أبناء الحارة ويعرف حقيقة «الجبلاوى» و«أدهم» و«جبل» و«رفاعة» و«قاسم» و«عرفة» و«الجرابيع» و«الكتاب السرى» وغير ذلك من الامور التى تضمنتها الرواية .

ويحاول المؤلفان حل شفرة هذه الرموز «فالجبلاوى» يرمز به لله سبحانه وتعالى .

«والبيت الكبير» هو السماء او العرش .

والحارة هي العالم أو الكون .

وأدهم هو آدم عليه السلام .

وعباس ورضوان وجليل ابناء الجبلاوى يرمزون للملائكة .

وإدريس هو إبليس .

وأميمة هي حواء عليها السلام .

وقدرى وهمام يرمزان لقابيل وهابيل .

وجبل يرمز لموسى عليه السلام .

ورفاعة هو عيسى المسيح عليه السلام .

وقاسم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاسم إشارة

واضحة الى كنيته «أبى القاسم».

وقنديل خادم الجبلاوى ورسوله إلى قاسم هو ناموس الوحى جبريل عليه السلام.

وحارة الجرابيع يقصد بها مكة حيث نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم.

والجرابيع يرمز بها الى اهل الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه وأنصاره.

وعرفة الساحر الذي تسبب في موت الجبلاوى هو الشيوعى الملحد الذي ينكر وجود الله تعالى.

هذا بالاضافة الى مجموعة كبيرة من الرموز التى تضمنتها الرواية.

الجبلاوى :

وتتضح هذه الرموز في أحداث الرواية التى يقول المؤلف «نجيب محفوظ» في مقدمتها : هذه حكاية حارتنا لم اشهد انا من واقعها الا طوره الاخير ولكنى سجلتها جميعا كما يرويها الرواة وما اكثرهم وكما نقلتها الاجيال وعلى رأس الحارة من ناحيتها المتصلة بالصحراء يوجد «البيت الكبير» وهو بيت جدنا جميعا، وجدنا هذا لغز من الالغاز عمر فوق مايطمع انسان او يتصور حتى ضرب المثل بطول عمره واعتزل في بيته لكبره منذ عهد بعيد فلم يره منذ اعتزاله احد وكان يدعى «الجبلاوى» وهو صاحب اوقاف الحارة وكل ماهو قائم فوق ارضها والاقطار المحيطة بها.

ثم جاء زمـان فتناولته قلة مـن الناس بكلام لا يليق بقـدره ومكانته وكـم دفعنى ذلـك الى الطواف ببيتـه الكبير لعلى افـوز بنظرة منـه دون جدوى ، أليس مـن المحزن أن يكون لنا جد مثـل هذا الجد دون أن نراه أو يرانا .

وهنا نـلاحظ أن المنطق المادى هـو الذي يتحـدث وهو يصر على ان يرى الخالق العظيم بعينه لكى يؤمن به .

أدهم :

وينتقل نجيب محفوظ الى قصة آدم ونـزوله الى الارض فيقول : كان مكان حـارتنا خلاء ولم يكـن في الخلاء من قائم إلا البيـت الكبير الذي شيده الجبـلاوى . . وذات يوم استـدعى سيـد البيت أبنـاءه الى حجرة الجلوس بالطابق السفلى وجاء ابنـاؤه جميعا : ادريس وعباس ورضوان وجليل وأدهم «ويقصد بهم الملائكة» واخبرهـم انه رأى ان يعهد بإدارة الاوقاف الى شخص آخـر غيره وظن الجميع انه ستعهـد بها الى ادريس ابنه الاكبر ولكـن المفاجـأة ان الجبلاوى يختـار ادهم بـدلا من ادريـس ﴿إنى جاعل في الارض خليفة ﴾

ويثور ادريس ويحتج ويقول انى وإخوتى أبناء هانم خيرة النساء أما هذا فـابن جـارية سـوداء ﴿ أنا خير منـه خلقتنى مـن نار وخلقتـه من طين﴾ .

ويرد الجبلاوى بعـد ان يأمر ادريس بالتزام الادب بـأن أدهم يعرف المستأجرين ومعظم اسمائهم وعلى علـم بالكتابة والحساب ﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ﴾ .

وتثور ثائرة ادريس وينفجر قائلا أي نـوع من الآباء أنت؟، خلقت فتوه جبارا فلم تعرف إلا ان تكون فتـوه جبارا ونحن ابناؤك تعاملنا كما تعامـل ضحايـاك العديديـن «ولم يرد في القـرآن ولا فيما نعلم مـن آثار الكتب المقدسـة اجتراء إبليس على مقام الالوهية هكذا حتـى في موقف التمرد والعصيان وهكـذا نرى ان المؤلف لا يحتذى النصـوص المقدسة مقابـلا اياها بـالرموز فقـط بل يشطح بخيـاله كثيرا ليقص القصـة من جديد كما يتراءى له».

ويمضـى نجيب محفـوظ في روايتـه قـائلا: وينتهى الموقـف بطـرد ادريس من البيت بينما يتولى ادهم ادارة الوقـف فكان يذهب كل صباح الى مكتب الوقف في الحديقة المجاورة للبيت الكبير يعمل بجد واجتهاد ويجمـع الايجار من المسـاكن ويـوزع الاسهـم على المنتفعين ثم يعـرض الحسابات على أبيه.

وينتهى الامر بطرد أدهم من البيـت الكبير نتيجة اقترابه من الحجرة الصغيرة التى تحتوى على الكتاب السرى بعد ان دفعه ادريس الى ذلك.

ويستمـر نجيب محفـوظ في عـرض الاحـداث بهذه الصورة المهينـة فيصل الى «جبل» الذي يرمز له بسيدنـا موسى ويرمز لبنى اسرائيل بآل حمدان ويتعرض لصراعه مع فرعون الذي سماه بالافندى.

وبعـد «جبل» يتحـدث عن «رفـاعة» وهـو سيدنـا عيسى فيجعـل السيدة مريم زوجة ليوسف النجـار وليست خطيبة له ولا شك ان هذا أمر مقصـود ومفهوم في إطـار السيناريـو الجديد الـذي وضعه لتـاريخ البشرية واستبعد فيه تماما كل أثـر للمعجزات والخوارق لانه لو جعلها بلا زوج أو مجرد خطيبة فلن يستطيع تبرير حملها وولادتها إلا اذا أوحى

بخطيئتها فيقع بذلك في مطب ولعله لا يـريده ولكن ما الحيلة وقد وقع في المطب حيث انكـر عذرية السيدة مـريم وأنكر الميلاد المعجـزة للسيد المسيح وتبنى أقاويل اليهود في طعن شرف السيدة مريم ورميها بالزنا .

قاسم :

ويستمر نجيـب محفوظ في عرض افتراءاتـه وأكاذيبه حـول قصص الرسـل والانبياء الى أن يصـل الى نبينا صلى الله عليـه وسلم فيسميـه في روايتـه «قـاسـم» ويقول : وبينما يعيـش قـوم جبـل «اليهـود» في الحى الخاص بهم وكذلـك اتباع رفـاعة «النصارى» في حيهـم ينشأ قـاسم في اكثر الاحياء فقرا وبـؤسا «حى الجرابيع» وقاسم غـلام يتيم يكفله عمه «زكريـا» بائع البطاطـا الفقير ، ويشب قـاسم على حكايـات الجبلاوى وادهم وجبل ورفـاعة ويعمل بالتجارة مـع عمه ثم يتفرغ لـرعى الغنم ويكثر من زيارة العجـوز يحيى «إشارة الى ورقة بن نوفـل» والمؤلف هنا يجعـل من يحيـى المعلم والاستـاذ الذي يتلقـى عنـه قاسـم منذ صغـره النصح والارشـاد والعلم وأخبـار الاولين وهذه مغـالطة كبيرة فهـو لم يذهـب الى ورقة الا بعـد ان نزل عليه جبريـل في الغار ويستمـر نجيب محفوظ في عرض الاحداث المحسنة بـالاكاذيب والافتراءات على النبى صلى الله عليه وسلـم ويورد الدكتور محمـد يحيى بعض العبـارات التى انصف بها اعداء الاسلام محمدا صلى الله عليـه وسلم ويقول تعليقا على ذلك : ولكـن ماقيمة شهادة هـؤلاء جميعا وهم ليسـوا مسلمين وليسوا من المساطيل الذين لا يفارقـون جلسات الحشيس - في حق محمد مادام

نجيب محفوظ عبد العزيز السبيلجى أحمد باشا المولود بحى الجمالية في ١١ ديسمبر ١٩١١م الفائز بجائزة نوبل عن روايته «أولاد حارتنا» يرى غير ذلك ويطلق على قبيلة قريش لفظ «الجرابيع» ويصور النبى وأصحابه وهم يتعاطون الحشيش .

عرفة :

ويمضى نجيب محفوظ في روايته قائلا : وبعد وفاة قاسم يخلفه صديقه صادق ويأتى إلى الحارة ذات يوم «عرفة» وعرفة اسم مشتق من المعرفة «أي الذي لديه العلم والمعرفة لكن ليس عن طريق الوحى أو الرسالات أو الاساطير أو الدين بل عن طريق ورشته ومعمله ومايخلطه من مواد وكل هذا يرمز للعلم المادى ومافيه من اكتشافات واختراعات وتكنولوجيا ويشير إلى ان العلم جاء بديلا للدين وهذه مغالطة كبيرة فمن ذا الذي لم يسمع حتى الآن بمدى اهتمام الاسلام بالعلم والعلماء وبالنهضة العلمية العظيمة أيام ازدهار حضارة الاسلام .

موت الجبلاوى ونهاية الرواية :

ولكن ماذا فعل «عرفة» في رواية نجيب محفوظ تقول الرواية إن عرفة فكر في أن يقابل الجبلاوى الجد الاكبر للحارة كلها بان يذهب اليه في مقره فيتسلل الى القصر في الليل ليصل الى الغرفة التى تحوى الكتاب السرى ولكن قبل ان يصل اليها يشتبك معه احد الخدم فيقتله

عرفة ويفر من القصر ثم يستيقظ الجميع على أصوات بكاء وصراخ قادم من البيت الكبير ويعلمون أن الجبلاوى قد مات وتبين بعد ذلك انه علم بموت خادمه ولم يستطع انقاذه لكبر سنه وشيخوخته وضعفه فاصابه الهم والغم ومات كمدا.

ولعل تفاصيل موت الجبلاوى هذه أهم احداث الرواية على الاطلاق وهي الهدف الذي يريده المؤلف فنجد ان موت الجبلاوى «أو موت الاله» يرمز الى ان الدين والايمان بالله تعالى قد استنفذ اغراضه وانقضى عهده ولا امل في عودته، ثم ان موته جاء على عرفة بمعنى ان انهيار الدين السماوى حدث على يد العلم الدنيوى الملحد اى ان العلم المادى هو الوحيد الذي استطاع قهر فكرة الالوهية والقضاء عليها.

وكأن المؤلف «نجيب محفوظ» - عامله الله بعدله - لم يكتف برمز يشير الى الشك في وجود الخالق لعدم التمكن من رؤيته جهرة فأضاف الى ذلك رمز موته ودفنه حتى يقطع الشك باليقين ويؤكد مقولة «نيتشة» بأن الخالق الذي يزعم المؤمنون وجوده قد مات وشبع موتا بل ودفن ايضا إلى الابد.

نوبل.. جائزة مشبوهة :

وجائزة نوبل التى حصل عليها نجيب محفوظ في الادب عام ١٩٨٨م وكان من حيثيات حصوله عليها رواية «اولاد حارتنا» التى نحن بصدد الحديث عنها كرواية أدبية مشبوهة كتبت للهجوم على الاديان - جائزة تحيط بها الشبهات من كل جانب فقد ألف عباس محمود العقاد كتابا حول هذه الجائزة كشف فيه الشبهة الملتصقة بها

وفضح المعـايير اللاموضوعيـة لها وكشف عن ارتباط الجائزة بـاهداف ومصالح سياسية واستعمارية .

ولعله من المفيد هنا ان ننقل للقارىء جزءا من كلمة السيد «ستورى آلين» السكرتير الدائم للاكاديمية السويـدية وهي الكلمة التى القاها في حفل تسليم الجائزة لنجيب محفوظ حيث قال :

«وللقراء الكثيرين الذين اكتسبهم نجيـب محفوظ من خلال الثلاثية بخلفيتها الـواسعة التى تصور الحيـاة المعاصرة جاءت «اولاد حـارتنا» كالمفاجأة فالرواية تمثل التاريخ الروحى للبشرية وقد قسمت الى فصول بعـدد سور القـرآن الكـريـم أي ١١٤ فصلا ، وشخصيـات الاسـلام واليهـودية والمسيحيـة العظيمة تجيء متخفيـة لتـواجه مـواقف مملـوءة بـالتوتـر فرجـل العلم الحديـث يمزج بنفـس الجدارة بين اكسير الحب وبعض المواد المتفجرة وهو يتحمل مسئـولية موت «الجبلاوى» أو الاله ولكنه يفنـى فهناك بريـق أمل في نهاية الـرواية . إن نجيب محفـوظ ليس متشائما رغـم أنه يوصـف بذلك في بعـض الاحيان فقد قـال : إن كنت متشائما ماكنت قد كتبت .

وفي القصص القصيرة عنـد محفوظ نقـابل الموضوعـات الوجـودية الكثيرة . . الصراع بين العقل والعقيدة . . الحب كمصدر للقوة في عالم غير منطقـى . . بدائل وقيـود النظرة العقـلانيـة . . الصراع الوجـودى للإنسان الأعزل .

ان نجيب محفوظ يحتل مكانا لا ينافسه فيه أحد كممثل للنثر العربى ومن خـلاله استطـاع بالـرواية والقصـة القصيرة ان يصل إلى مستـوى عالمى في البراعـة والاقتدار ولقد كـان ذلك نتاجـا للتآلف الـذي حققه

مابين التقاليد العربية ومصادر الالهام الغربية وملكته الفنية الخاصة . (١)

واذا كانت جائزة نوبل لها ميول صهيونية فلعله من المفيد ان نذكر ان الدراسات الاسرائيلية عن أدب نجيب محفوظ تفوق الدراسات العربية وان سر ذلك الاهتمام الاسرائيلى بأدبه يرجع - كما اعلن غير واحد منهم - الى انه اكثر الادباء تعبيرا عن الواقع الحقيقى للشعب المصرى وانهم يجدون في كتاباته صورة حية للمجتمع المصرى يفشل ان ينقلها لهم أعتى الجواسيس وأكثرهم حنكة . (٢)

ولنا أن نتأمل تلك الحقائق التى تكشف بعضا مما خفى عن الجائزة والحاصل عليها :

١ - سبقت إذاعة اسرائيل إذاعات العالم في اعلان الفوز بالجائزة وأبرزته في صدر أنبائها بل وقدمت سبقا صحفيا مذهلا بكافة المقاييس عندما نقلت تعقيبه على الفوز بالجائزة بصوت نجيب نفسه من منزله .

٢ - وجه نجيب محفوظ كلمة الى الشباب الاسرائيلى من اذاعة اسرائيل .

٣ - اتصل وزير خارجية اسرائيل شيمون بيريز بالكاتب الكبير وهنأه تليفونيا بالفوز في اليوم الاول لصدور القرار .

٤ - السيدة عطية الله ابراهيم زوجة نجيب محفوظ يهودية الاصل .

٥ - لم يتعرض الكاتب في معظم اعماله للصراع العربى الاسرائيلى وعندما كانت تقتضيه ظروف القصة كان يأتى بشكل عابر دون التأكيد على مشاعر المصريين تجاه الاحتلال الاسرائيلى للاراضى المحتلة والتجاوزات التى تتم على ارض فلسطين .

---

(١) الحقيقة الغائبة .

(٢) المرجع السابق .

٦ - نجيب محفوظ من انصار جماعة السلام التى أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية ونادت بالمبادىء التى تتبناها المنظمات الماسونية تحت مسميات البر والاخاء والتعاطف والتقارب بين الاديان.

٧ - نجيب محفوظ نموذج للمواطن اليهودى بخيل جدا حريص على المال، دقيق، يصادق بحساب ويعادى بحذر.

ولقد استطلعت آراء بعض المفكرين الاسلاميين في مسألة حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل في وقتها «عام ١٩٨٨م» فقال الكاتب والمفكر الاسلامى أنور الجندى:

جائزة نوبل في تقديرنا جميعا جائزة تمثل الفكر الغربى ولا تعطى إلا لأصحاب الولاء لهذا الفكر وهذه الحضارة وقد اعترف بذلكم نجيب محفوظ نفسه في حواره مع مجلة «المصور» ولو ان فكره له طابع عربى اسلامي وتصوره القصصى تصور عربى اسلامي ماقبله الغرب ومامنحوه هذه الجائزة لانها لا تمنح لمن يعبر عن الفكر الاسلامي.

وقال الداعية الاسلامي الشيخ محمد الغزالى: لقد لفت نظرى أن من بين الاعمال التى رشحت نجيب محفوظ لنيل جائزة نوبل رواية «أولاد حارتنا» التى نشرت في الخمسينات بصحيفة «الاهرام» وهذه الرواية هجوم على عقيدة الالوهية ورفض للوحى كله، وإنكار ساخر لنبوات موسى وعيسى ومحمد، ونزعة علمانية تجعل الدين اوهاما ومهازل وأذكر ان الشيخ محمد ابو زهرة كتب تقريرا عنها وأن الدكتور احمد الشرباصى قام بالعمل نفسه كما انى كتبت تقريرا عن الرواية والتقت هذه التقارير عند الاستاذ حسن صبرى الخولى الرقيب العام

---

(١) د. محمد يحيى - الآيات الشيطانية- الظاهرة والتفسير.

يومئذ وقد رجع إلى الرئيس جمال عبد الناصر ثم صادر الرواية ومنع تداولها تسكينا لثورة المؤمنين .

وقال الكاتب الاسلامي الدكتور محمد يحيى : في تقديرى الشخصى أن نجيب محفوظ من الناحية الفنية البحتة كاتب جيد ورجل كثير الانتاج ويستحق جائزة ولكن الكاتب ليس مجرد أداة فنية بل هو موقف ورؤية وانتماء ولابد ان له نظرة للحياة يطرحها في كتاباته ومن هذه الناحية هناك تحفظات كثيرة على نجيب محفوظ فهو لا يملك رؤية إسلامية عامة ويصور الحياة برؤية تحكمها قيم غير اسلامية بل قيم علمانية وهذا يتضح في موقفه دائما من شخصيته المتدينة في رواياته حيث يرسمه بنوع من السطحية والسذاجة التى تنفر منه الناس ، ثم نجد له قصصا وجودية تطاول فيها على الاديان كأولاد حارتنا التى تعد من اسباب فوزه بالجائزة .

والشيء الغريب انه يرسم شخصية الليبرالى وشخصية الشيوعى والملحد بدقة وامانة اما شخصية المسلم فيجعلها من أسوأ الشخصيات في اعماله .

ومن هنا نقول إن الاعتبارات التى ساهمت في حصول نجيب محفوظ على الجائزة ليست هي الاعتبارات الفنية الخاصة بأدبه وحسب ولكن هناك اعتبارات خارجية تتعلق بموقفه المؤيد للسلام وكامب ديفيد وما قام به من تطبيع ثقافى بين مصر واسرائيل .

محفوظ والاشتراكية العلمية

وإذا قلنا إن نجيب محفوظ قد اعتنق الاشتراكية العلمية او الماركسية الملحدة كمذهب فاننا لا نتجنى عليه في ذلك ففى عام ١٩٣٠م كتب في مجلة «المجلة الجديدة» التى كان يشرف على اصدارها سلامة موسى يبدى اعجابه بالاشتراكية والشيوعية كمذهب يجب تطبيقه وقال: لو اردنا ان نتنبأ بالمذهب الذي سوف يكون له الفوز بين المذاهب لقلنا - أو لوجب أن نقول - بانه مذهب الاشتراكية.

وبعث نجيب محفوظ برسالة الى الدكتور محمد حسن عبدالله عقب نشر الطبعة الاولى من كتابه: «الاسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ» قال فيها:

«ولعل الاضطراب الناشيء من قراءة ادبى احيانا مصدره ان قلبى يجمع بن التطلع لله والايمان بالعلم والايثار للاشتراكية، ومحاولة الجمع بين الله والاشتراكية مثار للظن بالالحاد عند قوم، وبالمحافظة عند آخرين وطالما عجبت من ان تتخذ الفلسفة الشيوعية دينا اذ انني بصفتى تلميذا للفلسفة أعلم أنها أبنية تتجدد مع تطور الزمن ولا تصلح للعبادة على الاطلاق أما ما يثير إعجابى في الشيوعية فهو عدالتها الاجتماعية المطلقة والتى لم تطبق في روسيا نفسها ألا وهي: «من كل على قدر طاقته ولكل على قدر حاجته» فهو أساس كامل في المعاملة الانسانية يجعل من البشرية أسرة سامية ولكن أي ضرورة تستوجب لكى أؤمن بذلك ان اؤمن قبلا بالتفسير المادى او بانكار الله»؟.

وبخصوص رواية أولاد حارتنا يرى الدكتور غالى شكرى - وهو احد العلمانيين في مصر - أنها تعبير عن انتصار قيمة العلم على قيمة الدين وأن رحيل «قاسم» وهو محمد صلى الله عليه وسلم هو المعادل الموضوعى لانتهاء رسالة الدين وانتهاء عصر الاديان بعد ان وقف الانسان على قدميه وأصبح قادرا على اتخاذ الحكم بمفرده دون حاجة الى المصلحين «الرسل» الذين كان يتولى ارسالهم «جبلاوى» وهي الفكرة التي يدافع عنها د. شكرى بحرارة ويرى أن نجيب محفوظ بها قد بلغ ذروة من ذرى الابداع الفكرى ونصر «عرفة» العلم.. وهو ما كان يستحق النصر. (١)

السخرية بالدين والقيم :

ولقد سئل الكاتب الاسلامي أنور الجندى على صفحات مجلة «الاعتصام» عما اذا كانت قصة اولاد حارتنا هي أسوأ ماكتب نجيب محفوظ ام ان الامر أكبر من ذلك؟

فقال : اذا كانت قصة «اولاد حارتنا» هي أسوأ ماكتب نجيب محفوظ من حيث جرأته على القيم والاصول في العقيدة الاسلامية واعتماد مفاهيم مضللة وردت في بعض الكتب المشكوك في صحتها والتى جاء القرآن الكريم ليكشف زيفها.. فان اخطر مافي قصص نجيب محفوظ جملة من الكلمة الاولى الى الكلمة الاخيرة هو : القبح والتشكيك والسخرية بكل القيم والاخلاقيات الاجتماعية بحيث تمثل

---

(١) الحقيقة الغائبة مرجع سابق.

لنفسك انسانا غرق في الشراب أو في الخدر ففتح فاه ضاحكا في سخرية وغيبوبة لا حد لها وكأن نجيب محفوظ قد ركبه شيطان خفى ليضرب في كل اتجاه وليسقط كل قائم وصحيح .

فلقد اتيح لمحفوظ أن يقرأ في الآداب الاوروبية والفلسفات كل سخرية بكل دين وقيم ومتعارف عليه فحول كل مافي هذه الفلسفات المادية والوثنية والاباحية الى صور مصرية وحشد للغة العربية أسوأ عبارات الكتابة والهجاء مما لم يجر من قبل على لسان كاتب اصيل ، ومن الحق أن نرد وجهة الكاتب الى عوامل صباه وهي معروفة سجلها «نجيب محفوظ» من رسائل منشورة إلى أصدقاء له وهي استغراقه في سحب الدخان الكثيفة ذات الرؤى الحالمة في جلسات الحشيش .

ولما كان نجيب محفوظ قد اعتنق مفاهيم الفلسفة المادية ورأى في الاشتراكية حلا لمشاكل العالم وتقبل مفهوم الفن للفن وخلط بين معطيات التفسير المادى للتاريخ وبين الماركسية وغيرها من قيم غربية مختلطة لتشكل له ذلك الطريق الذي سار فيه وعرض عليه صورا من المجتمع المصرى فجاء عرضه جامعا بين كل هذه المذاهب الهدامة مختلطة في قصصه اختلاطا شديدا وكان اكثرها خطرا هو دعوته الى الوجودية والعبثية والعدمية ، ومن هنا جاء ابطال نجيب محفوظ جميعا أو كثيرا منهم في مجال التأزم والتمرد والفردية وهم بهذا ابطال وجوديون .

وخلاصة مفهومه في هذا الاتجاه - كما أورده الدكتور احمد ابراهيم خضر - تتمثل في الآتى :

١ - أن الانسان قد ألقى به في هذا العالم وحيدا غريبا لا نصير له ولا معين .

٢ -أن الآخرين يمثلون جحيما يعوقنا عن تحقيق أهدافنا.

٣ - أن الانسان مسئول ان يتحمل عبء حريته التى هي أساس وجوده.

٤ - أن هذا الوجود ضرب من العبث وعلى الانسان ان يجعل له معنى. ويبدو هذا واضحا في روايات «اللص والكلاب» بمعنى ان الله جل في علاه قد ألقى بالانسان في هذا الكون ثم اهمله ولذلك لم يعد في حاجة اليه وعليه ان يحقق وجوده بمفهومه الخاص.

وهذه المعانى التى تضمنها القصة اوردها «البير كامى» في اسطورة «سيزيف والغريب» فاللص والكلاب من روايات العبث تكررت فيها كلمة «عبث» اثنتى عشرة مرة وذكرت في روايته «الشحاذ» واحداً وعشرين مرة، وفي رواية «الطريق» إحدى عشرة مرة. وهذه الروايات الثلاث ابطالها يتسمون بسمات جعلت شعورهم بالعبث يطبق عليهم ويحول الحياة الى ظلام ممتد فهم جميعا غرباء.. وكما اختار «البير كامى» الانتحار كحل لهذا الموقف فقد اختاره نجيب محفوظ لابطاله وهكذا نجد ان نجيب محفوظ يمضى ماركسيا في بعض الروايات ووجوديا في روايات اخرى وهو في كل ذلك يقدم للقارىء العربى مايهدم مقومات حياته كلها ويزلزل وجوده النفسى والاجتماعى.. ولعل دعوته الى «اللهو والطرب والجنس واحترام المومسات» هي أبرز ماتحمل كتاباته وقد تناول ذلك الدكتور رجاء عبيد والدكتور احمد ابراهيم خضر ومصطفى التوانى في دراسة مستفيضة تحت عنوان: «وقفات مع مريدى نجيب محفوظ».

فقال الدكتور عبيد: الطرب في أدب نجيب محفوظ لوحة عريضة تزخر جنباتها بألوان عديدة فتجسد فيها حياة الطرب واللهو والإقبال

المائع على الحياة . . حيث تقبض فيها ريشة نجيب محفوظ على «حقبة زمنية» فيرصد تلك الليالى الطروب التى ترقص للنغم وتغنى للوتر في جرأة تخجل الجرأة منها ويحكي لنا من الاغنيات مايخدش ولكن أهل هذه المدنية القديمة لم يروا عيبا فمنهم من يستمع : «خذنى في جيبك بقى . . أبيع هدومى علشان بوسة . . من يوم ماعضيتنى العضة . . الخ» ووراء عالم العوالم عالم الجرى وراءهن ومجالس اللهو بينهن .

بل إن نجيب محفوظ قد سجل في بعض قصصه «ان الحياء كاذب وموضة قديمة» بالاضافة إلى مايكنه من عطف واحترام للمومسات ، فالمومس لا يكاد تخلو منها رواية من رواياته ، وهو يقدمهن في صورة أشرف من النساء الشريفات بينما يعرض علينا الشريفات في صورة تدعونا لاحتقارهن والاستخفاف بهن .

ولعل أخطر مافي كتابات نجيب محفوظ جملة بعد ذلك دعوته الى الحط من قدسية الدين وهيبته ومزج رموزه مع الخمر والجنس والنساء ، وله في هذا الباب مواقف متعددة خلط فيها بين الصورة الاجتماعية وبين السخرية بالقيم الاسلامية ويتضح ذلك فيما يلى :

١ - في قصة «زعبلاوى» يعطى الخمر معنى صوفيا باعتباره مخدرا للحواس على نحو مبالغ فيه إلى حد بعيد حيث يرى أن الانسان لا يتصل بالله تبارك وتعالى في حالة عشق إلا إذا كان في حالة سكر ، وهو في هذا يردد مجموعة من مفاهيم الغلاة من دعاة وحدة الوجود والحلول .

٢ - سوء تصوير مفاهيم الجنة والدار الآخرة في حوار بين الراقصات والمخمورين من الرواد .

٣ - فظاعة الحديث عن الاجزاء المستورة من جسم المرأة حيث يتحدث في رواية «بين القصرين» عن «إلية المرأة» و«الشدى الناهد» و«العجيزة المدقلجة» و«العين المكحولة» و«الارداف» وماهو حول ذلك باسلوب قبيح .

٤ - الصورة المقززة التى يعرضها كصورة الشيخ يغنى عاريا .

٥ - التعدى الصارخ على الدين وعلى الله تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم والائمة والمشايخ فهو يتحدث في «حكايات حارتنا» وأخيرا الى الرسول صلى الله عليه وسلم في الحكاية رقم «٥٠» فيقول : «وهو يهزأ من التقاليد الراسخة . فلا يتردد في اجبار شخص على تطليق زوجته ليتزوجها «يعنى بذلك واقعة السيدة زينب بنت جحش» وهو كثير الزواج والطلاق ولا يجرؤ أحد على الزواج من احدى مطلقاته فيلقين الحياة وحيدات يتسولن أو ينحرفن» .

ويغمر الرسول صلى الله عليه وسلم في سخرية شديدة في عديد من قصصه في مجموعة «حكايات حارتنا» .

٦ - صور نجيب محفوظ الدين اكثر من مرة على لسان أحد أبطال رواياته بقوله «العظمة الحقيقية للدين لا تتجلى الا عندما نعتبره لا دينا» .

ومعنى هذا فساد الوجهة في مخطط نجيب محفوظ القصصى كله الذي يروج فيه الشك والسخرية والاستهانة بالقيم الاستهزاء بالمقدسات ، فليست اذاً رواية «أولاد حارتنا» هي وحدها الحاملة للسم ولكن الكاتب نفسه الذي يتخفى وراء مظهر أنيق وعبارات صحفية مرتبة وكلمات براقة هو في داخل قصصه نتن عجيب وقذارة وفساد يجب أن يعرفه كل من يسأل عنه .

الفصل الخامس

آيات سلمان رشدى الشيطانية

آيات سلمان رشدى الشيطانية

جاءت رواية «آيات شيطانية» التى كتبها الهندى الأصل البريطانى الجنسية «سلمان رشدى» في مطلع عام ١٩٨٩م كحلقة من حلقات ذلك المخطط الخارجى الذي يحاول استغلال الادب في الهجوم على الاديان ومحاربة الإسلام .

وما ان ظهر هذا العمل الشيطاني ونزل إلى أسواق اوربا وانتشر في المكتبات وكتبت عنه الصحف حتى غضب العالم الاسلامي عن بكرة أبيه لهذه الرواية التى سبت الرسول صلى الله عليه وسلم وعابت في أهل بيته وتهجمت على الاسلام والقرآن .

وقد اقيمت الندوات والمؤامرات لمناقشة هذا العمل ومحاولة الرد عليه ومنع انتشاره وصدرت البيانات عن المؤسسات الدينية وفي مقدمتها رابطة العالم الاسلامي والازهر تدين هذا الذي يدعى الإسلام وصار سلاحا في يد أعداء الاسلام يطعنون به ديننا ورسولنا صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا هبت حكومات اوربا ودوائر الغرب الصليبية تدافع عن «سلمان رشدى» وفرضت عليه الحكومة البريطانية حراسة مشددة خوفا من أن تصل إليه يد مسلمة تثأر لدينها ، كما سارعت دور النشر الغربية بشراء حق نشر الرواية ودفعت لصاحبها آلاف الدولارات وقامت بطبع ملايين النسخ منها حتى يزداد عدد قرائها وتتسع بذلك مساحة الهجوم على الإسلام من خلال هذه الرواية .

بداية رشدى :

ولو نظرنا إلى حياة «سلمان رشدى» سندرك الدوافع التى تقف وراء إقدامه على كتابة مثل هذه الرواية الشيطانية فسلمان رشدى ولد بالهند من أسرة تنتمى الى الإسلام قامت بتربية ولدها تربية غربية وفي الثالثة عشر من عمره ارتمى في أحضان ثقافة الغرب بكل ماتحمله من مجون وإلحاد حيث درس في مدرسة خاصة في بريطانيا هي مدرسة «رجبى» ثم التحق بجامعة «كامبردج» وامتص ثقافته منها ولذا كتب في روايته ص ٢١١ يقول :

«أن تتاح لك الفرصة لكى تحظى بالتعليم والتربية في منزل القوة يتطلب منك أن تتعلم أساليبه القوية التى جعلت منه منزل القوة وعليك أن تمتصها كلها امتصاصا كاملا يصل إلى جلدك الذي يسبب لك ماتحس به من قهر وذلك ليتسنى لك ان تتعود على عادة القوة وأن تطبع بطابعها لتكون مع الآخرين على قدم المساواة» .

فرشدى في هذا النص يحدد مصدر إلهامه وغذاء روحه لقد امتص أسوأ مافي العالمين «الشرق والغرب» . (١)

ولذا كان انجليزيا أكثر من الإنجليز أنفسهم ورفع سيف قلمه على بني وطنه فقام بتأليف قصة هاجم فيها الهند وقصة اخرى انتقد فيها باكستان وأثار في الجاليتين ضجة محدودة لم تلبث أن خمدت بعد أن اتهم وقتئذ بأن لديه مشاكل نفسية وثقافية ، ويبدو ان الغرب قد استغل

---

(١) شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب - أحمد ديدات .

ضجة القصص السابقة والتفات الأنظار للمؤلف ففتح له الطريق لضجة أخرى اكبر وأوسع وبدأ في إجراء عمليات التلميح للمؤلف بإعطائه الجوائز وإقامة الندوات له فالروايات الثلاث الأولى حصلت على أربعة عشر جائزة أدبية منها واحدة من أمريكا وكان كل من يعرف المؤلف يؤكد بأنه سيكون أصغر كاتب يحصل على جائزة نوبل في تاريخها(١)

والغرب هو المسئول الأول والأخير عن كتاب آيات شيطانية وإن بدا للبعض انه بعيد عن الاحداث فالغرب وقف وقفة الرجل الواحد وراء كتاب لا يخاطب العقل وإنما يخاطب وجدان أفراده، وهذا الوجدان هو منطقة الضعف التى يشكو منها الغرب حيث كفر العديد من أفراده بجميع أصنام منطقة الوجدان التى قام بزرعها الغرب على امتداد تاريخه.

وكاتب الآيات الشيطانية ليس ظاهرة فردية أو كاتبا طموحا يسعى إلى المال وإنما هو إنسان مبرمج ببرنامج محدد يخدم مصالح أصنام منطقة العتمة التى تحجب نور الفطرة.

فالكتاب وماتابعه من أحداث عالمية بعد ذلك قام بتوضيح هذه الحقيقة التى تقول بأن الحضارة الغربية هي المنتج والطابع الأول لهذا الكتاب لقد تفجر الصراع بين حضارتين متناقضتين تماما بين الحضارة الإسلامية وماتمثله من قيم ومثل وتقديس واحترام لأنبياء الله وبين الحضارة الغربية وماتمثله من طرح مادى معاد للفكرة الدينية الفطرية الصافية.

إن رواية آيات شيطانية ماهو إلا حلقة في صراع قديم والمتوقع احتدامه خلال الأعوام القادمة، وإن فكر منطقة العتمة الذي شب على

---

(١) شيطان الغرب سلمان رشدي الرجل المارق- سعيد أيوب.

فقه العجول طرح ورقة ثقافية على أرض الإسلام من أجل تفريغ الاسلام وطرح ورقة على أرض الغرب تنفير الناس من الإسلام ولا يمكن فهم كتاب آيات شيطانية إلا ضمن هذا المخطط وليس ضمن الافتراض بأنه عمل شخصى لانسان طموح.

وأهداف الكتاب مخاطبة الوجدان وفقا لخطة الشيطان «الجلوس على الصراط المستقيم» فالكتاب مطلوب منه تشويه رموز دائرة الفطرة أمام الأجيال المقبلة وهو مجموعة من الشائعات تحاط برموز الإسلام حيث لم يترك رمزا من هذه الرموز الا وهتك عرضه. (١)

الموقف الإسلامى من المؤلف والرواية :

وعندما صدرت الطبعة الأولى من كتاب سلمان رشدى في بريطانيا في ١/ ٩/ ١٩٨٨م حاولت اللجنة المتحركة للشئون الإسلامية هناك اللجوء الى القضاء الإنجليزى للاحتكام ضد الرواية فاتضح لهم ان القانون الإنجليزى يحمى فقط المذهب المسيحى الإنجليكاني فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على أساس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة «هذا الكتاب يسيىء إلى الإسلام» كالعبارات التى تكتب على السجائر وتحذر من التدخين ولكن الناشر رفض، وأمام المعارضة االإسلامية قررت إحدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية وإخراجه في طبعة شعبية عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الإسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى فتوجهوا إلى أسقف إحدى

(١) شيطان الغرب سلمان رشدي.

الكنائس بمدينة برادفورد وقدموا احتجاجا إليه وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب بعدم نشره ولكن لا جدوى فقامت الجماهير الإسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ولكن المطابع في استطاعتها أن تنتج المزيد.(١)

وقد قام سكرتير اتحاد المنظمات الإسلامية في لندن بتوجيه خطاب إلى تاتشر رئيسة مجلس الوزراء حينذاك يدعوها فيه «من منطلق الحرص على المقدسات الدينية» إلى الأمر من موقعها كمسئول «باتخاذ إجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها. ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب إلى وزارة الداخلية البريطانية يطالبون فيه باتخاذ اجراء حاسم نحو الرواية، وأخيرا جاء إعلان من القصر الملكى البريطانى أن الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه، ثم أعلن وزير الداخلية بيانا جاء فيه: «إن الحكومة لا تنوى إحداث تغيير في قانون الطعن بالمقدسات الذي يتعلق فقط بالديانة المسيحية».

وأمام التعصب الغربى انفجرت المشاعر الإسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد آيات الشيطان وامتدت هذه المظاهرات إلى الهند وباكستان وذهب ضحية لها العديد من الشهداء وعقب ذلك أعلن أن الناشر يزمع طبع الكتاب في امريكا وأنه سيقوم بتنظيم رحلة للمؤلف إلى أمريكا للترويج لروايته كما وجهت حكومة جنوب إفريقيا العنصرية الدعوة لمؤلف الرواية لكى يلقى محاضرة في عاصمتها وأعلن العديد من الدول وعلى رأسهم اسرائيل بالشروع في ترجمة الرواية إلى لغاتها ومع

---

(١) المرجع السابق.

المظاهرات والاحتجاجات طالب رئيس إدارة منهاج القرآن في باكستان بأن تقوم الحكومات الاسلامية بالضغط على أمريكا وبريطانيا لمنع الافتراءات نعلى نبي الإسلام وأعلن مدير الإفتاء في إسلام اباد بأن الكتاب به إهانات للرسول لم يسبق لها مثيل .

فتوى الخمينى :

وفي ١٤ فبراير ١٩٨٩م ألقى الخمينى زعيم الثورة في إيران فتواه عن المؤلف وروايته وجاء فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ «البقرة الآيات ١٥٤-١٥٦» صدق الله العظيم . . إننى أبلغ جميع المسلمين في العالم بأن مؤلف الكتاب المعنون «الآيات الشيطانية» الذي ألف وطبع ونشر ضد الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم والقرآن، وكذلك ناشرو الكتاب «الواعين بمحتوياته» قد حكم عليهم بالموت وعلى جميع المسلمين تنفيذ ذلك فورا أينما وجدوا كي لا يجرأ أحد بعد ذلك على إهانة الإسلام ومن يقتل في هذا الطريق فهو شهيد إن شاء الله» .

وقد حددت بعض الدوائر الإيرانية مكافأة لمن يقوم بهذه العملية ثم أعلنت فيما بعد أن حزب الله الموالى لإيران هو الذي سيقوم بتنفيذ هذه المهمة .

وفي بيروت نظم أكثر من ٥ آلاف من مؤيدى حزب الله مظاهرة نددوا فيها بالكاتب والكتاب وأعلنوا رغبتهم واستعدادهم لتنفيذ قرار الخميني بإهدار دم رشدى وحتى الآن لم يحدث هذا مما يشر إلى أن القضية كانت مجرد فقاعة دعائية وخرجت المظاهرات في فرنسا وإنجلترا وأمريكا وكندا وألمانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وبانكوك تندد بالمؤلف والرواية.

وفي هونج كونج أعلنت تسع جماعات إسلامية رفضها للكتاب في إعلان مدفوع الاجر.

وأمام هذا الطوفان الإسلامي الهادر هرب مؤلف آيات شيطانية وألغى رحلته التى كانت مقررة الى أمريكا للترويج لكتابه، ووقع ٣٤ عضوا من مجلس العموم البريطاني على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدى، وعرضت المخابرات الإسرائيلية «الموساد» توفير الحماية والامن للكاتب، وعرض نائب اسرائيلى مأوى لمؤلف الآيات الشيطانية بمنزله الذي يشمل ٢٧٣ غرفة في احد احياء تل أبيب، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل وصل الأمر أن طلبت إدارة الرئيس الامريكى بوش من الحكومة البريطانية توفير الامن والحماية للمؤلف.

أما موقف المفكرين في أنحاء العالم الإسلامي فلم يعارضوا قتل سلمان رشدى باعتباره مرتدا وإنما كانت وقفتهم فقط في كيفية تنفيذ حكم الله فقد قال خالد محمد خالد: إذا كان مقصودا بروايته إهانة الإسلام وألف مليون مسلم فهذا لا علاقة له البتة بحرية الفكر، ولعل الفتوى الايرانية التى جهر بها الخمينى تتماشى والحديث الشريف

القائل «من بدل دينه فاقتلوه» وهو مـايصدق على كل مايفضى إلى إهانة الدين والتحريض عليه . . وأن الدولـة الإسلامية التابع لها المؤلف هي التى تقيم الحد وليس أي فرد أو جماعة .

وقال الشيخ عبدالله المشد رئيس لجنة الفتوى بالازهر :

«ان سلمان رشدى يستحـق الإعدام لسب رسـول الله صلى الله عليه وسلم غير انه يجب التحقيق معـه وتمكينه من الدفاع عن نفسـه ثم إن له حق الرجوع والتوبة وهنا يسقط عنه الحد .

وقرر المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة مايلى :

١ - اعتبـار سلمان رشدى بما أتـاه مـن مفتريـات وقذف شخصـى للرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته والنبى ابراهيم الخليل مرتدا عن الإسـلام الذي نشـأ في ظله وانـه يستحـق أن يطبق عليـه حكم المرتـد المتزندق المفترى على الله ورسوله .

٢ - طالب المجمع بملاحقة سلمان رشدى بـدعوى قضائية جزائية تقـام عليه وعلى دار النشر «بنجـوين» التـى نشرت له هـذه الروايـة في المحاكـم المختصة في بريطـانيا وان تتـولى منظمة المؤتمر الاسلامـي رفع هذه الدعوى . (١)

٣ - تقام على الكاتب دعوى قضائية في بلـد إسلامي من قبل النيابة العـامة في هـذا البلد وأن تتـم محاكمته غيـابيـا ويحكم عليـه بما توجبـه الشريعة الإسـلامية في أمثـاله حتى ولـو لم يكن لهذا الحكـم مجال تنفيذ فورى .

٤ - اعتبـار الاعتذار الـذي قدمـه هـذا الكاتـب ونشرته الصحـف

---

(١) مع الأسف الشديد لم يقم المجمع الفقهي بمتابعة هذه الفتوى ولا قامت منظمة المؤتمر الإسلامي بالبت في الدعوى المذكورة

البريطانية وقال فيه «إنه يأسف لأنه أساء الى مشاعر المسلمين» اعتذارا فارغا لا يغير من افتراءاته الإجرامية ولا يغسل شيئا من جريمته الشنعاء لأن الاعتذار في هذه الحالة يجب أن يتضمن الاقرار والاعتراف بأن ماذكره في كتابه إنما هو محض كذب وافتراء وأنه غير صحيح وأن ينشر ذلك في وسائل الاعلام.

٥ - مقاطعة دور النشر التى نشرت كتاب سلمان رشدى. (١)

● وعلى مستوى العالم الغربى أصدر اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا ومقره في المانيا بيانا حول رواية رشدى جاء فيه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

فان اوربا الغربية في هذه الأيام في غليان وكل وسائل الإعلام فيها مستنفرة واليهود يتحركون ويحركون طالما هناك مايمس الإسلام.

وقضية رشدى تغطى أخبارها على كل قضايا العالم.. الانتفاضة في فلسطين المحتلة كاد ينساها الرأى العام الغربى.. أفغانستان التى أراد الغرب أن يحول انتصار الاسلام فيها ضد الروس إلى خانة منجزاته اصبحت وسائل الاعلام تنقل أخبارها ببرودة غير معقولة، لقد ظهر على الساحة ماهو أهم بكثير.. إنها قضية الحرية.. حرية «سلمان رشدى» في الاستهزاء بمقدسات مليار مسلم وإهانة مشاعرهم.. تقوم لها اوربا ولا تقعد أما حرية الشعب الفلسطينى كله في تقرير مصيره وحرية الشعب الأفغاني المسلم في اختيار نظام حكمه وحرية ملايين المسلمين في كل مكان.. هذه كلها لا تستحق من الغرب مثل

---

(١) لم يحدث تنفيذ لكل ما ذكر وبقي اعتراض داخل الكلمات والتصريحات.

مايستحق «سلمان رشدى» الذي جعل أوربا كلها تتحرك وتثور دفاعا عن حرية التعبير! لقد تحولت القضية في الإعلام الغربي ومؤسساته الرسمية واستنفرت الدنيا للدفاع عن «حرية رشدى» وامثاله في الشتم والتحقير والاستهزاء ولو نالت من ملايين الناس، وللتهجم على الإسلام بالحجج الكاذبة المليئة بالحقد والسفاهة.

إننا نود تحديد موقفنا بوضوح بمايلى:

١ - أن القضية هي قضية كتاب سخيف لمؤلف حقير لم يحترم مشاعر المسلمين ولم يستعمل أسلوبا علميا أو موضوعيا في الكتابة وكان واجب كل حكومة تحترم نفسها وعلاقتها بالمسلمين أن تمنع هذا الكتاب من التداول لأن حرية كل انسان تقف عند حدود كرامة الآخرين وحقوقهم.

٢ - أن المسلمين لا يرفضون النقد أو الرأى المخالف أو الحوار فالمكتبات - وخاصة في اوربا - مليئة بالكتب التى تنتقد الإسلام وتعارض عقائده وأحكامه من وجهة نظر مؤلفيها ولم يطالب المسلمون بمنع هذه الكتب أو نشرها ولكن كتاب «رشدى» عبارة عن مجموعة من شتائم واتهامات حاقدة وسخرية تطعن بعقيدة المسلمين ومقدساتهم ومن أجل ذلك يطالب المسلمون وبإصرار منعه.

٣ - أن المسلمين في اوربا يهمهم منع الاعتداء على مقدساتهم وكراماتهم وهم يطالبون السلطات الرسمية بذلك ويلحون عليه، ولكنهم لم يجدوا للأسف أي تجاوب مع هذا الطلب بل هم يشعرون أن السلطات الاوربية تتبنى موقف «رشدى» وتدافع عنه وتحميه متحدية بذلك مشاعر المسلمين، ثم هي تطلب من المسلمين السكوت أو عدم

الرد حتى بمجرد التنديد بالكتاب بينما نجد أن هذه السلطات تمنع أي كتاب يسيء الى مشاعر اليهود وتمنع أي كتاب يسيء الى علاقاتها أو مصالحها مع بعض الانظمة الحاكمة .

إن هذا الموقف غير العادل وغير الموضوعي هو السبب في ظهور مواقف حادة بين المسلمين واذا كان لابد من لوم فهو يوجه إلى السلطات الاوربية قبل أن يوجه الى أحد . . وإن الذين ينادون بحرية الكلمة والتعبير لجدير بهم ان يحترموا لكل انسان مقدساته وعقائده .

٤ - أن الزخم الذي أعطى لهذا الامر ليدل على أن وراء ذلك أيدى خفية تريد أن توقع بين الشعوب الاوربية والاقليات المسلمة فيها ليكون هناك مبررات تدعم المنظمات العنصرية في ممارسة حقدها العنصرى وتقضى على كل محاولات التعاون والاصلاح والسلام بين اوربا والشعوب الاسلامية .

٥ - أن هذا الحدث الذي جعلت منه وسائل الاعلام المعادية هجوما على الاسلام وأحكامه يجب أن يكون دافعا للمسلمين في معرفة أن الاسلام ماكان له أن يكون سخرية لكل سفيه أو حاقد لولا تخاذل ابنائه وخلافاتهم التى تذهب ريحهم وبعدهم عن التمسك بحبل الله والاعتصام به . .

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ «سورة آل عمران ١٣٩» .



مواجهة الإسلام والصحوة الإيمانية

والحقيقة أن رواية سلمان رشدى هذه كانت المعبر الأكبر عن ظاهرة موجودة في الغرب وفي بعض البلدان الاسلامية وهي ظاهرة تسخير اللغة الادبية الفنية . لكتابه اعمال تتصدى للاسلام والصحوة الايمانية بشكل أو بآخر لتتكامل مع النشاطات الصحفية والفكرية الموجهة ضد الاسلام لكنها في نفس الوقت تنتحل لنفسها حصانة الابداع الادبى وتتوسل الى انتباه القراء والنقاد وقبول الجمهور برداء الخلق الفنى .

وظاهرة الآيات الشيطانية هي نفس الظاهرة وراء احياء الاهتمام برواية نجيب محفوظ «اولاد حارتنا» ووراء عشرات من الافلام والمسلسلات والاعمال المسرحية التى ظهرت على مدى الاعوام الاخيرة لتعالج مايسميه الغرب والفئات الحاكمة والعلمانية في العديد من البلدان الاسلامية بمشكلة التطرف الدينى الذي يقصد به التدين الاسلامي وحده الا أن رواية رشدى تعتبر من أبرز هذه الاعمال رغم عيوبها وهي كذلك التى اثارت أوسع ضجة على امتداد العالم الاسلامي بينما بقيت ردود الفعل على أعمال أخرى محصورة في المستوى المحلى رغم أن هذه الاعمال - وفي ذهنى هنا رواية نجيب محفوظ - كانت أشد في عدائها للاديان كلها ورفضها للعقيدة من محاولة رشدى بطابعها السطحى الساخر . (١)

ولقد أثارت «الآيات الشيطانية» قضية هامة وهي قضية حرية الإبداع الفنى وحصانة التأليف الادبى التى كانت من أبرز وأروج

---

(١) الآيات الشيطانية - الظاهرة والتفسير - د. محمد يحيى .

حجج المدافعين عن «الآيات الشيطانية» وهـي مسألة تؤدى بدورها الى التساؤل عما إذا كان للاديب من حيث هو أديب حصانة تتجاوز حدود الحريـات الفكريـة المسمـوح بها في مجتمع مـن المجتمعـات أيـا كانـت حدودهـا وأبعادهـا ولماذا تكون للاديـب الحصانة التـى تفوق حصـانة وحريـة الفكر؟ هل لانه لا يستعمـل لغة الفكر بل يلجـأ إلى الخيال ولا يزعم لمنتجاته انطباعا على الواقع؟

وإذا كـان الامر كـذلـك فمـن أين يـأتـى الاديـب بأفكـار إلا مـن ايديولوجيـات المجتمع فلماذا اذاً تكون له حصانة تتجـاوز مايمنح لهذه الايديولوجيات والعقائد؟

أم أن دعـوة الحصـانـة تكـون كما طـرحـت بصـدد روايـة رشـدى وأشبـاههـا دعـوة لتهـريـب الفكر المعـادى للـديـن تحت عبـاءة الفـن واستغلالاً للغة الادب لقول ما لا يقال في لغة الفكر من خلالها وتسترا برموزها وكثافة دلالاتها وعدم مباشرة مضامينها؟!

لقد استخـدمت التعميـات حول حصـانة العمـل الأدبى والعمـل الفنى كي تنكر على المسلمين حتى الاحتجـاج على مواقف لا يمكن أن توصف الا بأنها بذاءات وسب مبـاشر يصرف النظر عن موقعها داخل عمل أدبـى وبصرف النظر عن أنها تـأتى في سيـاق موقف أوسـع ضد الدين يتخذه رشدى في روايته.

إن مـن يدعـون الى عـدم وجود رد فعـل على الـروايـة أو بالأصـح ينكرون على المسلمين أن تكـون لهم غيرة على دينهم ومقدساتـه يجافون حتـى منطقة الادب نفسـه الذي يحتـم وجـود ردود أفعال ذات انـواع مختلفـة وواسعـة على أعمال مـن حيـث إن هـذه الاعمال ليسـت محض

زخرفات مجردة من المعنى بل قيم ومواقف ومشاعر مجسدة في شكل معين هو الكيان الادبى .

والحق أن إنكار وجود ردود أفعال عند المسلمين تجاه الرواية كان يهدف ووفق سياسة مخططة رأيناها في أمثلة عديدة ثقافية وغير ثقافية الى تجفيف ينابيع الحماس الدينى عند المسلمين وإبطال قيامهم للدفاع عن عقيدتهم اذا تعرضت للنيل والتطاول . (١)

ولقد نبعت رواية رشدى من سياق غربى ثقافى أصبح في الفترة الراهنة وعلى ضوء النهضة الإسلامية يميل الى العداء المرضى للإسلام والنيل منه .

وهذا السياق الثقافى المعاصر ووراءه تراث صليبى طويل يكشف لنا أو يفسر لماذا حفلت الرواية بهجوم على الإسلام يتسم بالبذاءة والهبوط ولا يحتوى على أدنى قدر من الموضوعية أو العقلانية التى يفاخر بها الغرب ويدعونا إليها تلاميذه فكأن رشدى - وبصرف النظر عن دوافعه هو الشخصية وعلاقته بالاسلام - ينفس عن الغرب حقدا على الاسلام وبأسلوب من السخرية الهابطة والشتم المباشر وتشويه الصورة بطريقة فجة ليتقرب الى الدوائر المهيمنة على مجريات الامور هناك ويحظى بالشهرة والإعتراف انه يؤدى دور المهرج ومضحك الملك الذي يلاحظ أن سيده مهموم بأمر عدو قوى له إغاظة وإخافة فيعمد لا الى تأليف كتاب علمي فكرى يكشف جوانب ضعف هذا العدو وكيفية التغلب عليه بل إلى تقليد مشيه صوته بصورة مسفهة وإلقاء النكات البذيئة عليه وعلى أسرته حتى يضحك الملك ويطمئن إلى هزال عدوه وحتى تهدىء الانفس بعد تحقير العدو .

---

(١) الآيات الشيطانية الظاهرة والتفسير .

والقضيـة أن سلمان رشـدى لا يتسـاءل جـديـا حـول الإسـلام أو يتشكك فيـه بحجج يمكـن مناقشتها وتكـون له وجـاهة تستحـق الرد لكنه ببساطة يشتم ويسخر بوضـوح يدل على الطبيعة النفسية المستهدفة من وراء هذه الـرواية كتنفيس عن غيـظ غربى يحس به الكـاتب ويدلى بدلوه في إزالته بالطـريقة التى يراها ناجعة والتى يـرى أنها ستقربه أكثر إلى الغربيين وتثبت ولاءه وعمق انتماءه للغرب. (١)

---

(١) المرجع السابق.

دور إرسالية البحر الأحمر

والحقيقة أن تجرؤ الغربيين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول الدكتور فهمى الشناوى ليس شيئا بجانب تجرؤهم على الله سبحانه وانكار وجوده وتأليف مذاهب كالوجودية وغيرها تنكر الله كلية او كإقامة نظام كالشيوعية يعتبر الإلحاد شرطا للعضوية أو كإقامة مايسمى بالعلمانية وهي في حقيقتها جهلانية تدور كلها حول عدم إعطاء الله اعترافا، ومساواة من ينكره بمن يؤمن به.

فما لحق بمحمد صلى الله عليه وسلم على يد سلمان رشدى «ظاهريا» وعلى يد تاتشر رئيسة حكومة بريطانيا السابقة وعلى يد السوق الاوربية المشتركة ليس إلا شرارة تطايرت من النار التى أوقدوها ضد الله العلى القدير سبحانه وتعالى.

والمجرم الظاهر هنا هو سلمان رشدى أما المجرم الحقيقى والمتستر فهو هيئة تنصيرية تتخذ من بريطانيا مستقرا ومقاما وتعمل بين الهنود والباكستان المهاجرين إلى بريطانيا وهذه الهيئة التنصيرية فلسفتها وعقيدتها وشعارها وكل ماتعلمه لأتباعها هي كلمة واحدة «إن الاسلام دين الشيطان» وهم يتداولون هذا القول سرا وعلنا فيما بينهم وبين بعض وفي مطبوعاتهم.

وعلى ذلك فسلمان رشدى هذا لم يأت بجديد زإنما ردد ان آيات القرآن آيات شيطانية، وأن كلام محمد صلى الله عليه وسلم هو ما ألقى الشيطان إلى محمد وان زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وكل صحابته هم تلامذة للشيطان وهذا كله يتم باسم النصرانية في عصر العلم الحالى ولكن قتل الانسان ما أكفره.

فتأليف رواية «آيات شيطانية» هي من الأهداف المعلنة لهذه الجمعية التنصيرية التى تسمى «إرسالية البحر الاحمر» والتى تعمل بأكبر قدر من السرية ويتعدى نشاطها التنصير الفردى الشخصى إلى العمل الطبى والتعليم والترجمة والتأليف وفتح المكتبات لبيع الكتب وتوزيعها وتوزيع شرائط الفيديو وتصف نفسها «بأن الله قرر إنقاذ المسلمين إلى ولده الحبيب، ودعا الجمعية إلى أن تكون أداة في يد الله».

وقد أسست هذه الجمعية عام ١٩٥١م على يد الدكتور «ليونيل جارني» ومكتبها الخاص بالنشر موجود حاليا في كندا، والدكتور «جارنى» هذا قضى ١٧ عاما قبل ذلك في الشرق الأوسط منصرا نشطا، ويدير الجمعية حاليا «ولفجانج ستمف» ومركزها الرئيسى في برمنجهام، ٨٧ش الكستر ولها مكتب في استراليا وكندا والمانيا وهولندا وكوريا ونيوزيلندا والسويد وأمريكا.

بدأت هذه الجماعة نشاطها في عدن وجنوب الجزيرة العربية ومن هنا كان الاسم «مبشري البحر الأحمر» وظل نشاطها في عدن حتى عام ١٩٧٢م.

وقد عملت هذه الجماعة في الحبشة والصومال وجيبوتى وباكستان حيث تقوم بنشاط تنصيرى أطلقوا عليه في منشوراتهم: «الباكستان باب مفتوح».

ونقلا عن تقويم عام ١٩٨٧ لهذه الجماعة فإن لهم نشاط في افغانستان بين مرضى الجذام، واما في السودان فإن لهذه الجماعة نشاط منذ عام ١٩٧٨م في قبائل البجا وهي قبائل ثائرة وفقيرة وحاليا تنشط الجماعة نشاطا واسعا في مالى وهي قطر واسع جدا وخاصة في الجنوب

ويبلغ عدد المرتبطين بالكنيسة هناك ٢٧ الفـا ويقال ان كثيرا منهم كانوا مسلمين.

وأخيرا فإن هذه الجمعية التنصيرية تنشط بين المسلمين المهاجرين في غرب أوربـا وفي كندا وتلاحق الطلبـة والسواح العرب ووسائلهـا هي الضيافة والتزاور وتعليم اللغة وبيع الكتب على باب المنزل والعمل من خلال مدارس وتجمعات الأطفال.

ومثل هـذا النشاط هوالـذي اصطاد سلمان رشدى وغيره مـن أبناء الهنـد وباكستـان المقيمين ومعه شبـان لا نعلـم عنهم شيئـا ومعه ايضـا أطفال في ســن الطفولـة ومراحل التعليـم الاولى وهم في نشـاطهم بين المسلمين المهاجرين إلى أوربا وأمريكا يركزون على أن يحققوا هدفين هما أن يكـون إلى جـانب عمليـة التنصير تحقيـق خـدمات عمليـة حقيقيـة للشخـص المستهدف وعـن طـريق تحقيـق هـذه الخدمـة تصبح عمليـة التنصير أسهل بكثير وليس من الضرورى تنصير ديانة المسلم بل الأفيد عندهـم هو مجرد هز عقيـدة المسلم وتشكيكه في القـرآن وفي النبى صلى الله عليه وسلـم وفي الصحابة وفي أمهات المؤمنين وفي الآيـات المتشابهة من القرآن وغير ذلك. (١)

فعنوان كتاب سلمان رشـدى ليس مقولة أصليـة لسلمان هذا ولكنه شعار هـذه الجمعية التنصيرية التـى تزعم بصفـاقة متناهيـة أن الاسلام ديـن الشيطان كبرت كلمـة تخرج مـن افواههـم إن يقـولـون إلا كذبـا وهـؤلاء لم يوجهـوا تـرهاتهم واكـاذيبهـم الفكـرية الى الشيـوعيين ولا الملحـدين ولا البـوذيين ولا الشنتـوية ولا حتـى الـلادينيين في افريقيـا

(١) من وراء سلمان رشدي- د. فهمي الشناوي.

وأواسط آسيا ولكن وجهوها إلى من وقر المسيح فاعترف به وأقر بنبوته ورفعها مكانا عليا .

ألا تكون الآيـات التى تمجـد المسيح وأمـه آيات شيطـانية يـاسلمان ومبشريك؟ ألا يكون الشيطان هو الذي أوحـى «وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يمـوت ويوم يبعـث حيا» ألا يكـون الشيطان هـو الذي وصـف العذراء بأنها «أحصنـت فرجها»؟ كيف يكون القرآن آيـات شيطانية في كل شيء إلا مـع المسيح ومع أمه . هـذا القرآن إما انه كلـه من عند الله وإما أنه كله من عند الشيطان .

هل يستقيـم أن يكون القرآن آيـات اشترك فيها الله والشيطـان معا؟ وهنا لا يكون نصيب الله من القرآن إلا مـايخص المسيح وأمه وأما باقى القرآن فيكون آيات شيطانية .

أي فكر هذا الذي يـريدنا أن نؤمن بأن القـرآن من صنع مشترك بين الله وبين ابليس . وأي حرية هذه التى تريد أن تسوق - بل ساقت فعلا - كل السـوق الاوروبية إلى الايمان بأن الله والشيطـان اشتركا في كتـابة هذا القرآن؟

أليـس من صـالح البشر والبشريـة أن يقطع لسـان من يعـرف بهذا الادعـاء . هل إعـدام هذا الـذي يعلن هـذه الوسـوسة الشيطـانية هـو لصالح البشر أم هو ضد صالح البشر؟

هـل إعدام سلمان رشـدى هـذا لصـالح نفـس المسيحيـة أم لا؟ ان ادعاءه أن القرآن آيات شيطانية لابد أن يعنى أن المسيح ليس كما ورد في القـرآن وأن مـريـم ليسـت كما ورد في القـــرآن . إن القـرآن قـد جعـل المسلمين هم الأولى بالمسيح مـن أهله الحاليين . والقرآن جعل المسلمين

مسئولين عن المسيح دون جان ميجور وكلينتون ودون السوق الأوربية كلها ودون العالم المسيحى المعاصر .

لقد ثبت الآن أن العالم المسيحى المعاصر هو أبعد مايكون عن المسيح وثبت أن العالم المسيحى الآن لا يفرق بين المسيح وعدو المسيح ، ولا بين من يقدس ويحترم المسيح وأمه وبين من يلوثه ويفترى عليه . وثبت الآن ان العالم المسيحى المعاصر هو وحش مسلح بدون عقل ولا حكمة وانه يرفض العقل والحكمة ويرفض من يهديه إلى صالحه هو ذاته . (١)

---

(١) من وراء سلمان رشدي . د. فهمي الشناوي .

الـروايـــة

بقيت بعـد ذلك الـرواية نفسهـا ماذا قـال سلمان رشدى في روايتـه الشيطانية؟ ومـاهي الحدود التى وصل إليهـا قاتله الله في سبه للـرسول صلى الله عليه وسلـم وصحابتـه وزوجاتـه أمهات المؤمنين الطـاهرات النقيات وماذا تقول فصول الرواية التـى أحدثت ضجة وأثارت سخط العالم الاسلامي وغضبه؟

وسوف نعرض هنـا أحداث الرواية بشيء مـن الإيجاز معتمدين في ذلك على دراسـة اعدها الدكتـور محمد يحيى أستـاذ الادب الانجليزى بجامعة القاهرة تحت عنوان: «الآيات الشيطانية . . الظاهرة والتفسير» حيـث يقـول: يحاول سلمان رشـدى أن يضـع روايتـه هـذه في سيـاق مايسمـى بالـرواية الحديثة مـن ناحية الأسلـوب الفنى، وهـي تقع في ٥٤٧ صفحـة مـن القطـع الكبير في طبعـــة دار فيكنـج الأولى لها عـام ١٩٨٨م وهناك خطان رئيسيان ينتظمان أحداث الفصول التسعة:

■ الخط الاول: يحكى قصة «جبريل فاريشتا» وأحلامه الغريبة.

■ والثاني: يحكى قصة صلاح الدين شاما «أوشامكا» والتحولات التى تطرأ على شخصيته.

وجبريل قاريشتا «ومعناها الطيب أو الجميل باللغة الهندية كما يقول رشدى» صبـى فقير نشأ في مدينـة بومبـاى وعمل في مهنة والـده يحمل أوانى الطعام إلى أصحـاب المتاجر وبعد وفاة والده تعهـده أحد أرباب المهنة بـالرعاية إلى أن بلـغ ريعان الشباب فـانفتحت أمامه أبـواب عالم التمثيـل السينمائى لـوسـامتـــه وبـرع في تمثيـل أدوار الآلهة والاربـاب

المتعددين في الهندوكية والـذين تظهر حكـاياتهم ومغامـراتهم في أفلام هندية تحمل لقب الأفلام الدينية أو الإلهية .

وتـدخل بنـا الـرواية إلى عـالم «جبريـل فـاريشتا» في فصلهـا الأول بصورة مثيرة حيث تصـوره وهو يهبط بعد انفجار طائرة ركـاب هندية كان يستقلها من بومباى في طريقه إلى لندن .

وخلال أحـداث الروايـة تعلم أنه قـد أصابـه مرض غـامض ولما لم تستجيب دعواته للشفـاء فقد إيمانه وعبر عن ذلك عمليا بـالذهاب إلى فندق برأه حيث التهم كميات كبيرة من لحم الخنزير .

وعقب هـذه الواقعة وخلال اختفـائه وكذلك خلال رحلـة الطائرة المنكوبـة تبدأ أحلام تساور جبريـل في فترات نومه الطويلـة التى لا يجد مبررا لها ويتصور جبريل أن هـذه الاحلام أو الكوابيس هـي عقاب له على فقدانه الايمان وتناوله للحم الخنـزير ، وتشتد الأحلام والكوابيس بعد نجـاته مـن حادث الطـائرة التى يتحـول خلالها إلى مـايشبه الملاك «طبعا يوحى من اسمه» .

ويقول جبريل أو «بـالاحرى المؤلف» إن هذه الأحلام ذات طـابع مسلسل أي أنها تتعاقب في مخيلته عندما يغلبه النوم تعاقب الفيلم أو الرواية .

وهـذه الأحلام التـى تقـص علينا في فصـول الـروايـة هي أربعـة : ماهاوند ومارتين دس لاكرور والإمـام وعائشة ، ويشير كل حلم منها إلى الشخصية الرئيسية فيه وهي الشخصية القـوية التى تستدعى جبريل إلى أحلامها ويقظتها وتسيطر عليه وتسقط عليه أفكارها ورغباتها .

وإذا كانـت الشخصيات الثـلاثة ماهـاوند والامـام وعائشـة تتصل بالإسلام فإن الشخصية أو الحلم الرابع ليست له علاقة بدين .

● أما الحلم الذي يدور حول شخصية «ماهاوند» فيظهر جبريل في صورة ملاك «وفق اسمه» يلقى بالوحى إلى ماهاوند وفي هذا الحلم الذي يشغل فصلين من الرواية تقع معظم المواقف التى فجرت الضجة حول الرواية.

وماهاوند «هاوند معناها الكلب باللغة الانجليزية» شخصية يرمز بها المؤلف إلى النبى الذي عاش في مدينة «الجاهلية» حيث يقطن قبيلة «القرش» وأعداؤه أبو سمبل «ابو سفيان» وزوجته هند الساحرة المتجددة الشباب، وأتباع ماهاوند هم بعض أصحاب الحرف والمهن الوضيعة.

● ويدور الفصل الأول من حكاية أو حلم ماهاوند حول ما يسمى بالحل الوسط أو المهادنة بين ماهاوند وخصومه ممثلين في أبى سمبّل كبير قبيلة «القرشى» ويميل ماهاوند إلى القبول بما عرضه عليه ابوسمبل من الاقتراح على مصدر الوحى «جبريل أو الإله» أو الطلب منه ان يعتبر اللات والعزى ومناة كملائكةأو بنات الآلهة في مرتبة التوسط بين الإله والبشر وذلك مقابل اعتراف ابو سمبل والقرش بإله ماهاوند ودعوته ونبوته.

ويفتح هذا الطلب وميل ماهاوند إليه الباب أمام المؤلف رشدى لكى يعرض لنا من خلال حلم جبريل قاريشتا علاقة ماهاوند بالملاك جبريل حامل الوحى اليه. فيتبين أن ماهاوند صاحب الشخصية القوية المؤثرة هو الذي يسقط أمنياته على قلب ولسان الملاك جبريل ويجعله ينطق بآية الغرانيق العلا التي ترجى شفاعتهن.

إلا أن محاولة المهادنة تفشل عندما تؤكد هند لماهاوند بصفتها راعية الوثن اللات أن الهتها أو ربتها وهي بنت الشيطان مع الوثنيين الآخرين لن تقبل بمثل هذا الحل ولا بإله ماهاوند وأنها ترفض المساومة.

وهنا يراجع ماهاوند نفسه ويذهب إلى جبب المخروط حيث كهفه المعتاد عله يتلقى الجواب الساطع من الملاك جبريل وهناك يتصارع مع الملاك ويسقط عليه تراجعه عن المساومة والحل الوسط «ويستمع» من لسانه الى آية تصحح الآية السابقة ثم يعود ليبلغ أصحابه بأن الآية السابقة كانت من إلقاء الشيطان أما الآية اللاحقة فهي من الوحى الصحيح.

ويقف الملاك جبريل - الممثل قاريشتا في الحلم - متعجبا ومؤكدا ان الآيتين في الحالتين كانتا من بنات أفكاره ولاوعى ورغبات ماهاوند نفسه.

● أما الفصل الثاني المخصص لقصة ماهاوند فيحكى عودته منتصرا الى مدينة الجاهلية بعد هجرة إلى واحة يثرب استمرت مايزيد على ربع القرن.

ويتناول هذا الفصل خطين قصصيين فهناك قصة سلمان فارسى أحد أتباع ماهاوند والذي يعود متشككا في عقيدته يقص شكواه على مسامع صديقه الشاعر الوثنى المعادى لماهاوند واسمه «بعل» ويقول سلمان إنه سئم كثرة قيود وقواعد الدين الجديد التى أكثر ماهاوند من وضعها ربما لانه رجل أعمال يهتم بتفاصيل العقود ويؤكد سلمان فارسى «ويلاحظ أن صاحب الشكوك هذه يتطابق اسمه مع اسم مؤلف الرواية» ان ماهاوند كان يضع الاحكام لحادثة من الحوادث فينزل جبريل بالوحى ليؤكدها ولا يناقض ابدا حكما توصل إليه ماهاوند وهذا يعنى أن ماهاوند في الحقيقة واضع الوحى.

وماهاوند مولع بالنساء يتزوج اثنتى عشرة منهن ثم يجبرهن بواسطة الحجاب على طاعة رغباته.

أما القشة التى قصمت ظهر سلمان - كما يقول رشدى - وأسلمته الى الهروب من ماهاوند فكانت اكتشافه أن ماهاوند لا يلاحظ قيام

سلمان بالتبديل الكثير في كلمات «الوحى» باعتباره كاتبه .

والخط الثاني في هذا الفصل هو قصة الشاعر بعل الذي كان يؤلف قصائد هجاء في ذم ماهاوند خلال فترة استضعافه الاولى في مدينة الجاهلية، وإذا كان سلمان فارسى قد حظى بعفو ماهاوند بعد وعده بكشف أسرار أعدائه وإذا كانت هند كذلك قد أعطيت العفو بعد توسلها وتذللها فان بعل شعر بعظم جريمته فقرر الاختباء في وكر للرذيلة والبغاء يدعى الحجاب، ويقول سلمان رشدى ان المعنى المقصود هنا هو الستائر الموضوعة على حجرات البغايا، وتتطور الأحداث بصورة تجتمع فيها السخرية مع العبث وغير المعقول حيث يقنع بعل اثنتى عشرة من البغايا باتخاذ أسماء تشابه أسماء زوجات ماهاوند لما لاحظه من رغبة زبائن «الماخور» في التعلق بهؤلاء الزوجات بعد فرض الحجاب عليهن .

وتمضى الملهاة إلى حد زواج البغايا من بعل وتؤدى الألفة مع الدور إلى أن تتوحد البغايا وبعل مع ادوارهم ويزداد لذلك الاقبال على الماخور إلى أن تنتهى المدة الممنوحة لبقاء هذا المكان بعد فترة عام من استقرار حكم ماهاوند على الجاهلية بعد عودته اليه وفي النهاية ينكشف أمر بعل ولعبته ويقتل .

ولا تظهر أصداء أخرى لحكاية ماهاوند في الرواية الا في أحد الفصول الاخيرة حيث يتحول جبريل فاريشتا في أحد الاحياء المشبوهة في مدينة لندن وسط بعض تهيؤاته ويخيل اليه أنه يرى زوجات ماهاوند الاثنتى عشرة في وجوه بعض البغايا صغيرات السن اللواتى يبعن اعراضهن في تلك الشوارع .

● أما احلام جبريل فاريشتا الاخرى عن الامام وعائشة فلا تأخذ قسما كبيرا من أحداث الرواية يماثل القسم المخصص لحكاية ماهاوند .

«والامـام» يشير صراحـة إلى الخمينـى حيـث يصـوره المؤلـف في شخص رجل صارم متجهم متشدد إلى حد الجنون ينتظر في منفاه ساعة الثورة للعـودة الى بلاده، وكـل هذا مغطى بهالـة من الـرموز والاسماء المستعارة، وهو يستـدعى جبريل ويأمـره بأن يأخذه الى القـدس ثم إلى عاصمـة بلاده حيث تتـدافع الجماهير لـلاستشهاد في سبيله ثـم يستولى الإمام على القصر المنيع وتخرج منه اللات التـى كانت تعشش في صورة الامبراطورية عائشة.

وحلم عائشة «وهي غير الامبراطـورية» يستغرق فصلين هو الآخر من فصول الرواية وتدور أحداثه في قرية هندية مسلمة حيث تظهر فتاة يتيمة غـريبة الأطـوار تدعـى عائشـة تصنع الـدمى الصغيرة لـلأطفال وتقول إن جبريـل «الملاك وهو فـاريشتا الـذي استدعتـه بقوة وتـدفق مشاعرها» قد ظهر لها وأوحى بأن تصطحب أهل القرية كلهم في رحلة على الاقـدام باتجاه مكـة ووعدهـا بأنـه عند وصـولهم إلى بحر العـرب «المحيـط الهنـدى» سـوف ينشـق لهم ويمشـون خـلالـه حتـى المدينـة المقدسة، وتقنع عـائشة أبناء قريتها بهذه الرؤيـة لا سيما وأنها تصاحبها معجزة هي التفاف أعداد ضخمة مـن الفراشات حولها وبعضها يغطى جسـدها كـالـرداء، وتـذهب وراءهـا زوجـة رئيس القريـة المريضـة بالسرطـان على رجاء حـدوث معجزة تشفيها في مكـة وتمضى الـرحلة العجيبة وتتعـرض في طريقها الطـويل حتى شـاطىء البحر لمضـايقات عديدة فمـن هندوس متعصبين ضد المسلمين يرفضون مـرورها خلال قراهم إلى «مسلمين متطـرفين» يشجبون العمل كله كبدعـة وثنية تشبه حج المشركين، وفي الرحلة وبعد تعرضهـم لمتاعب ومحن تهتز ثقتهم في

الكاهنة عائشة كما يسميها المؤلف .

وتنتهى الرحلة بموقف عامض حيث يختفى الحجاج في البحر الذي لم ينشق لهم حسب مارآه من على الشاطىء لكن بعض المرافقين والذين حاولوا في اللحظة الاخيرة ثَنْيَ عائشة عن عزمها الانتحارى هي ومن معها - وكادوا يفقدون حياتهم نتيجة لذلك - يؤكدون أن المعجزة قد حدثت بالفعل وأن البحر قد شق للحجاج ويستمر هذا الموقف الغامض حتى نهاية ذلك الحلم عندما يحتضر رئيس القرية أو وجيهها الذي اختفت زوجته مع الحجاج فيرى قبل موته ان الرحلة نجحت شريطة أن يفتح طالب المعجزة قلبه لها بالايمان بها وهو مايحدث عند لحظة الموت .

وفي النهاية ينتحر جبريل ماريشتا باطلاق النار على نفسه بعد ان يقبل الفتاة اليهودية الجميلة التى يحبها ويقبل معها المنتج السينمائى الهندى الذي كان يرتب عودته الى الشاشة الفضية بمجموعة من الافلام المستمدة من وحى أحلامه وتهيؤاته عن «ماهاوند» و«عائشة» وقد فشلت تلك الافلام كما اصطدمت بمعارضة من يسميهم الكاتب بالمتطرفين الذين رأوا فيها اهانة للدين ، وكأنه بذلك يتوقع مصير روايته أو يعرب عن إدراكه بأن مثل هذا التعرض للدين لابد وأن يثير المشاعر ويستفز الافكار .

والحقيقة ان دور جبريل ماريشتا الحقيقى في الرواية - كما يقول الدكتور محمد يحيى - هو مجرد مبرر أو سبب لظهور تلك الاحلام التى ضمنها سلمان رشدى بذاءاته ضد الاسلام وشخص نبيه عليه الصلاة والسلام دون أي داع ولا علاقة بأحداث وأفكار الرواية الاخرى .

ولعل تقديم رشدي للدين والمتدينين في الآيات الشيطانية في شكل سطحى كاريكاتيرى بعيد عن التحليل الفنى المتعمق والجاد والمستوفى والمقنع يكشف عن أن الدافع الاول ووراءه كان إرضاء واشباع وتكريس تصور معين عن الاسلام في نفس القارىء الغربى وتملق فكرة هذا القارىء الثابتة عن الاسلام والمسلمين فضلا عن اشباع رغبته ورغبة الكاتب الدفينة في التمتع باستفزاز المسلمين ورؤيتهم وهم ينتفضون غضبا من جراء الاستهزاء بدينهم .

وحلم ماهاوند كما يرد على خاطر جبريل فاريشتا لا يقدم سوى صورة عبثية مستهزئة قصد بها أن تشير إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وعصر البعثة بحيث تتماشى مع ماكان الغربيون يرددونه من اكاذيب وتصورات منكرة حول هذا الامر في اشد عهود الصليبية تعصبا .

رشدى المهرج :

وسلمان رشدى لا يلحق حتى ببعض منجزات المستشرقين الحديثة التى تحاول أن تكون أكثر إنصافا وتعقلا وأدبا في رؤيتها للرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة مع رفضها لهما ولهذا أسمينا رشدى هنا «بالمهرج الذي يؤدى دورا ما لينفس عن غيظ سيده وهو هنا حقد الغرب المتجدد ضد الاسلام الناهض .

ورشدى في هذا الدور لا يكتفى فقط باسقاط سخريته او تحقيره على عهد البعثة النبوية فهذا عهد لا يهم الآن السادة في الغرب كثيرا ازاء الصحوة الاسلامية وإنما يتخذ من هذا التصوير - وهو أول أحلام

جبريل فاريشتا الملائكية - خطوة اولى يواصل بعدها اتباع نفس الخط الساخر والسطحى المشوه في معالجة الاسلام الناهض أو مايسمى بالاصولية أو التطرف أو التشدد إلى آخر أمثال هذه الأوصاف.

ويقنع سلمان رشدي بدور المهرج فهو لا يقدم تحليلاً للظاهرة الإسلامية التى تقلق الغرب وذلك من خلال قصة واقعية أو رمزية تتكافأ فيها الرموز مع عناصر التحليل الذي يطرحه بل يكتفى بإيراد ضرورة ساخرة مبالغ فيها يجمع من خلالها عناصر صورة الغرب الدعائية الحاقدة عن الاسلام ليؤكد هذه الصورة ويؤكد مرة أخرى على عمق الولاء والانتماء للغرب وهو لا يتعب نفسه إذ يقدم هذه الخدمة بل يكتفى بنقل الصورة الشائعة بعناصرها «اللون الاسود - الصرامة - الجهامة - الوحشية - الطابع الكاريكاتيرى المبالغ فيه» ليعيدها إلى الغربيين من خلال الفن الروائى.

فباستقراء هذه الأحلام الثلاثة «ماهاوند - الإمام - عائشة» والتى تشكل مع قصة جبريل احدى محورى الرواية يظهرأن سلمان رشدى لم يقدم في الحقيقة سوى الصورة الغربية التقليدية النمطية عن الإسلام كما كانت توجد قديما في كتابات المبشرين والمستشرقين وكما هي معروضة حاليا في المستويات الإعلامية هناك.

فهو - أي سلمان رشدى - ليس أديبا مبتكرا يحاول أن يستخدم امكانيات الفن الروائى لتجربة تجسد رؤية مبتكرة ناضجة بل مجرد مهرج يعيد إلى الغربيين الصورة المرتكزة في أذهانهم عن الإسلام بنفس عناصرها البالية المألوفة وتغلف ذلك بجو من السخرية والاستهزاء ويوظف أسلوبه اللغوى في الباس هذه الصورة بعض الحدة من خلال

الاسلوب الفنى .

وقصة جبريـل بأسرها وعلى كثرة مـافيها من تفاصيـل إنما هي مجرد عذر أو حجـة او وعاء تصب فيـه حكايات الأحـلام المتصلة بالـدين ، فقصته هـي الحبل الذي ينظـم هذه الحكايـات الثلاث التى كـرس من خـلالها رشدى نظـرة الغـرب للإسـلام او هـي الغلاف البراق الملـون الجذاب بمغامراته وحيـويته الذي يلتف حول هذه الحكـايات ويقدمها للقارىء ومما يقطع بأنها مجرد وعاء للحكايات الثلاث الدينية المضموناً ان جبريل يمـوت فور انتهـاء دوره كحاكـم ووعاء للحكـايات حيـث ينتحر بعد انتهاء قصة عائشة .



الفصل السادس

مسافة في عقل رجل



مسافة في عقل رجل

«مسافة في عقل رجل» او «محاكمة الالـه» رواية كتبها أحد المجاهيل هو «عـلاء حامـد» الموظف بمصلحـة الضرائب بالقـاهرة الـذي سعى كغيره من المنافقين قـاتلهم الله والأدعياء للشهرة على حسـاب الإسلام والطعن في عقيدته وسب رسوله صلى الله عليه وسم.

وقـد جـاءت هذه الـروايـة كحلقـة ضمـن مخطـط وضع بـاحكـام لاستغلال الادب -بعـد غيره من الوسـائل- في مهاجمة الاسـلام وهو مخطط واسع النطاق تقف من ورائه قوى أجنبية معادية للاسلام اتفقت جميعها على تحقيـق هدف واحد هـو محاربة هذا الـدين وإبعاد أهلـه عنه حتى يظلوا ضعفاء متفرقين لا تجمعهم كلمة ولا يوحدهم صف.

وقد تعرض مؤلـف هذه الرواية الآثمة للمحاكمـة أمام محكمة أمن الدولـة التى وجهـت اليه عـدة إتهامات منهـا الطعن في الـذات الالهية والتهجم على الاديان وسـب الرسل والانبياء وإنكـار مسلمات العقيدة من ثـواب وعقاب وجنـة ونار، واستنـدت المحكمة على إدانـة الأزهر لهذه الرواية وقضت بسجن كاتبها ثمانـى سنوات عقوبة له على تهويماته وجرأته على السب.

● تقرير الأزهر:

أعدت لجنـة من علماء مجمع البحـوث الاسلاميـة التابع لـلازهر تقريرا مفصلا عن كتاب «مسافة في عقل رجل» بناء على طلب النيابة الادارية.

وقد جاء في هذا التقرير أن الدستور قد كفل حرية العقيدة والفكر للفرد في ذاته بشرط ألا يتعدى هذا الفكر فيضر بالهيئة الاجتماعية أو بالأساس الاجتماعى لهذا الوطن .

فلا يسمح القانون بنشر الفكر إن تضمن مايهدم نظاما من النظم الاساسية للمجتمع أو كان بحيث يزدرى أحد الاديان السماوية أو يسيىء اليها أو يضر بالوحدة الوطنية أو بالسلام الاجتماعى هذا وان ماساقه المؤلف في الكتاب من سخرية ورمز مهين وطعن مباشر على الاديان السماوية بصفة عامة وعلى الدين الاسلامي بصفة خاصة هذا العمل من المؤلف لا تختلف احكام الدين أو أحكام القانون في تحريمه .

ومن هنا فان نشر هذا الفكر المعتدى يقع تحت طائلة المواد ٩٨«أ» ، ٩٨«ب» ، ٩٨«و» ، ١٠٠ ، ١٠٢ وكذلك المواد ١٦٠ ، ١٦١ من قانون العقوبات .

وقال التقرير : إن الكتاب ينكر الاديان بصفة عامة ثم ينكر العقائد الدينية وينكر الإله ويكذب بالرسل ويزدريهم وينكر الكتب السماوية ويكذب بالايمان بالقدر وبالبعث والحساب وبالجنة والنار . .

وبالجملة وهو ينكر العقائد الدينية ويزدرى رموزها وشخصياتها ويسخر منها ، ويدعو الى قيام الهيئة الاجتماعية على نظام مادى بحت لا مكان فيه للروحانيات أي أنه يدعو إلى هدم الأساس الاجتماعى لهذا الوطن وإلى تغييره .

وإذا قرأنا الكتاب وجدنا به مايلى :

«أنا . . مسلم بالميراث . . لو ولدت من صلب ملحد لأصبحت مثله . . فلا اختيار لمسلم في دينه» صدر المقدمة صفحة «٣» .

«ثم لماذا يغير الانسـان عقيدته وقد فقـد اهتمامه بالديـن كمنهاج في الحياة» صفحة «٣».

«وهذا ماحدا بكثير من العقلانيين إلى التساؤل عن جدوى الأديان» صفحة «٣».

«ماجـدوى الاديان؟ وقد شـدت الشرق الى أحضان التخلـف وقد ارتفعت هامة شعوب لا تؤمن بالاديان لقمة الحضارة» صفحة «٤».

«وانقلب الحال فأصبح الدين سبة في تاريخ الشعوب» صفحة «٤».

وفي سخريته بالعلماء بصفتهم رموزا للعلـم الديني قال: «وبالنسبة لأسيادنا المعلمين إخوان شهورش أصبح الدين في حد ذاته هدفا يجنون مـن ورائه ثمـرات المال والشهرة والسلطـة ومتـع الحيـاة ماظهـر منهـا ومابطن» صفحة «٥».

ومن عباراته التى يبث بها الشك في الدين قوله:

«أم أن تلك الرسـالات ليست سوى صيغ بشريـة آمن بها اصحابها ثم تداولوها بدعوى انها إلهية؟ وعلى هذا فتصبح صلة الرسل بالله صلة افتراضية لا تدعمها حقيقة ولا يسندها برهان» صفحة«٦».

وفي إنكاره وتعريضـه وسخريته بالمسيحية والاسـلام قال: «عقيدة ترتبط بفكـرة الخلاص والزهد والتثليث والاخرى ترتبـط بفكرة الجنة التى شغـف الناس بالاستشهـاد من اجلها والنـار التى وقودهـا الناس والحجارة..

وإذا كان منطقيا ترغيب الأعـرابى المتعطش للمال والجنس والطعام بالجنـة التى تجرى مـن حولها وفـوقها وتحتهـا الانهار بقطوفهـا الدانيـة ونسائها الحور العين وخمرهـا المعتقة.. لم تعد تلك الامـور تهز وجدان

الانسان العصرى . . لم يعد هذا مقنعا في عصر اصبح العقل فيه سيد الموقف ولذلك لم يبق امام اقناع الانسان سوى طريق واحد وعدا في جنة ارضية واقعية يقطف ثمارها وهو حى يرزق ، وامة سلام يجد فيها متعه الحسية والعقلية والعاطفية . .

لم يعد كافيا أن تكون حجة التحريم العبارة المأثورة : «هذه مشيئة الله» لأنه حتى ولو كانت كذلك فلابد لها من تبرير مقنع والا وضعت كأى اجتهاد شخصى ينقصه الدليل في جعبة الخرافات صفحة «٦ , ٧» .

وفي دعوته الى ترك الفضائل التى دعت إليها الأديان قال : «لقد باتت اخلاقيات العصر عامة والشرق خاصة في حاجة الى مراجعة شاملة . . الى تقييم جديد يضع الامور في نصابها تقوم بموجب هذا التقييم بإعادة تبويب العلاقات الانسانية . . الحلال . . والحرام تبويبا يتأسس على أسس عصرية . . لا على ما توارثناه من تركه مثقلة بالخرافات والخزعبلات» صفحة «٧ , ٨» .

وفي انكاره الاله قال «نحن الحقيقة وماعدانا وهم . . نحن الحقيقة والحقيقة نحن وطالما ان الله حقيقة فلسنا سوى الله» صفحة «٨»

وفي زعمه بأن الاديان خرافات قال :

«لقد عجزت الاديان عن تفسير علمى مقنع . . وأذابت العقل الانسانى في محلول حمضى مركز من الخرافات» صفحة «٩» .

وفي انكاره للرسل وسخريته بهم قال :

«او ليس من حقنا ان نسأل ونحن نصعد للقمر ونحن نصهر الخرافات لنقذف بها في بالوعات التاريخ القذرة . . أليس من حقنا أن

نسأل عن الرسل . . ماهم؟ وماهويتهم؟» صفحة «٩»

وفي دعوته للمذهب المادى العلمانى قال :

«الانسان الآن يريد بعثا ، بعثا يضع الديانات في مكانها الصحيح : علاقة الانسان بربه . . والمعاملات علاقة بين أفراد المجتمع» صفحة «١١» .

وبعد هذه المقدمة التى أشار التقرير إلى بعض من فقراتها وآرائها الخطيرة ينتقل الى الموضوع الاصيل للكتاب وهو «محاكمة الإله» الذي جعله المؤلف في تمثيلية متخيلة وجعل نفسه قطب هذه التمثيلية فصور نفسه الها واخذ يتصرف كما يتصرف الاله بين الخلق لينتهى من هذا كله إلى تقرير أن جميع المعتقدات في الاله وفي الرسل والثواب والعقاب الدنيوى والاخرى هي وهم من تصورات الناس على شبه ماتصور هو في نفسه أنه إله . . قاتلهم الله انا يؤفكون .

ثم ختم التمثيلية التى صورها في صورة محاكمة اله بفصول خصصها للنقاش المباشر للعقائد الاسلامية والتنديد بها والسخرية منها ثم لعرض آرائه الشيوعية المادية .

ويعرض التقرير شيئا مما جاء في ثنايا هذه التمثيلية من خطايا المؤلف التى تزرى بالعقائد الدينية الاسلامية وتنكرها ثم تسخر من الرموز والمقدسات الدينية الاسلامية .

فمن أمثلة سخريته بالجنة قال : «أي جنة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى» صفحة «١٦» .

وفي صفحة ٣٢ يبث الشك في معتقد الجنة ويسخر منها ويعرض الحياة فيها في صورة جنسية ساقطة ثم يقول إنها «أي الجنة» مستنقع للرذيلة وجنة للمسكرات .

وفي صفحة ٢٩ يقول عن المعجزات إنها خداع بصر ، وفي صفحة «٣١» ينكر البعث والحياة الاخرى .

وفي صفحة ٣٤ ، ٣٥ يصف العلماء الاسلاميين بأنهم أصحاب خمر وشهوة ، وفي صفحة «٣٦» يقول : «آفة المجتمعات هي تلك الحثالة التى جعلت من الدين ستارا تخفى خلفه كل الموبقات» وفي صفحة «٤٢» يقرر أنه إله وأن الاله هو الناس والناس هم الاله ، والمعنى انه لا إله إلا القدرة البشرية .

وفي صفحة «٥٢» يقول : «كثيرا ماجاورنى الشك في هوية هؤلاء الانبياء لكنى لم أستطع أن أعلن شكوكى خشية اللعنة وهو يسخر بآدم وبالانبياء . صفحة «٥٦» ثم ينتقل فجأة إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ويتهكم به ويقول : «الامى الذي يعجز عن الكتابة والقراءة ، الامى الذي لا يستطيع أن يميز بين الالف وكوز الذرة» .

وفي صفحة «٦١» يتهكم بموسى عليه السلام وبمعجزة العصا وينكرها ، ويستمر في التنديد بموسى ومعجزاته ويجرى على لسانه تحقيرا للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه «الرجل الذي يراد إظهاره في صورة الكمال بتضخيم أخطاء من سبقوه» صفحة «٦٣»

ويجرى على لسان موسى «كذلك إن اليهود في طريق الاجهاز على المسلمين أصحاب الاخلاق المنحطة» صفحة «٦٤» .

ويقول «الملائكة خرافات دفنت من ثلاثة آلاف عام» صفحة «١١٢» . . . والحضارة لا صلة بينها وبين الاعتقاد بوجود الاله ووجود الجنة والنار ، إنه لا ارتباط بين الحضارة وهذه المعتقدات .

ثم يقول :

الانسان ليس سوى نظرية مادية بحتة جاء بالصدفة وسيموت بالصدفة وبموته يصبح مجرد ذكرى في اروقة الحياة فلا اله ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا جن ازرق أو أحمر ولا ملائكة بيضاء والرسل ليسوا سوى مجموعة من الدجالين والادعياء . . » صفحة «١٢٥» .

ويقدم تقرير الازهر الذي جاء في عشرين ورقة «حجم الفولوسكاب» نماذج متعددة للترهات التى كتبها المؤلف مصحوبة بارقام الصفحات التى وردت فيها .

وينتهى الى ان أمر هذا الكتاب لا يحتاج الى تفنيد او رد أو تعليق ذلك انه هاجم العقائد وانكر الاديان والرسل والكتب السماوية ، وان المؤلف قد قصد بكتابه هذا وما يحمله من آراء متطرفة هدامة اثارة الفتنة وتحقير وازدراء الاديان السماوية وانبيائها وبخاصة دين الاسلام وكذلك الطوائف المنتمية لهذا الدين والغيرة من الاديان ثم دعا الى مايؤدى الى الاضرار بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى .

وان المؤلف قد اعتدى على الاصول الدينية للاسلام فاتجه اليها بالنقص والازدراء واعتدى على القرآن الكريم وادعى أنه من صنع البشر ، وتناول بالازدراء والتهكم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك تهكم بالرموز الاسلامية من علماء وشعائر وعقائد فضلا عن تهديده للسلام والأمن الاجتماعى .

وبهذا فان المؤلف يقع تحت طائلة القانون وبخاصة أحكام المادة «١٦١» من قانون العقوبات التى تتصدى لمثل هذا العمل حفاظا على الاديان وعلى سلامة وأمن المجتمع وقد طالب التقرير في نهايته بمساءلة هذا الرجل طبقا لهذه المادة وغيرها من المواد السابقة ذكرها وعلى أساس من احكام القانون .

● رد مؤلف الرواية على تقرير الأزهر :

قام مـؤلف الـرواية «عـلاء حامد» بـالرد على تقـرير الأزهـر حول روايته محاولا تـزييف الحقـائق دفاعـا عن نفســه وتخليصا لها مـن التهم الموجهة إليه بالاساءة إلى الاديان والرسل والانبياء فقال في رده :

«بقراءة التقـرير وبالرجـوع الى نص الروايـة نجد أن كاتب التقـرير «هكذا تقـول رغم انه ليـس كاتب واحد بـل لجنة عليا مـن علماء مجمع البحوث الاسلامية» قد قام عمداً بـالتزوير بتغيير لفظ أو عدة ألفاظ أو باسقـاط عبارات من سياق الموضـوع او باستخراج معنى مخالـف تماما لقصـد المؤلف بـالاستنباط او القيـاس الفاسـد وذلك بقصـد الاضرار بالمؤلف .

وعموما فتحـريك مثل هذا الاتهام ضد مـؤلف روائى يحمل دلائل كثيرة منها الهوة الثقافية التى انحدرنـا إليها والردة الحضارية التى نهوى اليهـا ، وان بـراءة المؤلـف هـي في الحقيقـة مكسـب للقضـاء والفكـر والحضـارة والتحضر كما وأن الاصرار على عـدم الافراج عـن المؤلـف وتجديد حبسه أكثر مـن تسعين يوما هو في الحقيقة إدانة خفيـة للمؤلف غير معلنـة نتيجـة للحملـة المنظمة في صحـف الجمهـوريـة والاخبـار واللـواء الاسلامـي والاهرام ونتيجـة انـزواء الفكر المستنير للتصـدى لقضية القبض على مؤلف روائى .

وان القضيـة لم تعد قضيـة علاء حـامـد وحده بـل أصبحت قضيـة الفكر كله أن يكـون أو لا يكون ، وإن شهرة واسعة الآفـاق تنتظر هذا

القاضي المستنير الذي سيتصدى لهذه القضية بالحكم بالبراءة، هذا الحكم الذي لن يقل أهمية عن حكم المحكمة الدستورية العليا الذي قضى بعدم دستورية مجلس الشعب. . لا يقل عن حكم براءة طه حسين عن كتابه «الشعر الجاهلى» ستردده الأجيال باعتباره سابقة قضائية في تاريخ القضاء المصرى لم تحدث من قبل في قضية فكر خاصة.

وإن المؤلف له أحد عشر كتابا مابين رواية ومجموعة قصصية قصيرة وحائز على اكثر من جائزة أدبية ويمثل مكانة طيبة في مقدمة روائيى الجيل الثانى بشهادة النقاد «يلاحظ أن هذا كلام المؤلف عن نفسه».

ويقول في رده إن الكتاب ليس سوى عرض لمبادىء حضارة مادية متقدمة عمرها بثلاثة آلاف عام من كتابة الرواية وهي تصور لمجتمع يكمل حضارة الإنسان ومجتمع آخر أصابه الخراب والدمار نتيجة قيام الحرب العالمية الثالثة من خلال بطل القصة الذي ينطلق في سفينة فضائية لكوكب اورانوس في رحلة استغرقت منه ثلاثة آلاف عام يعود بعدها الى الارض ليجد ان الحرب العالمية الثالثة قد قضت على كل مافيها من حياة ماعدا فئة قليلة تقطن إحدى البقاع على هذه الارض فئة تخلفت تماما عن ركب الحضارة، وبعد أن يعثر البطل على النفق الذي انتهى الى مدينة فاضلة فضل أهلها قبل قيام الحرب العالمية الثالثة ان يهجروا الارض إلى باطنها ليكملوا حضارة ملايين السنين ثم يعود إلى قومه ومعه كتاب التنوير اساس الحضارة المادية لهذه المدينة لكنه يفاجىء برجال الدين وهم يقبضون عليه ويحاكمونه فمحور الصراع في القصة بين الحضارة والتخلف، بين التقدم والبدائية يمثل احد قطبى

الصراع رجال الديـن بما يحملون من تخلف ويمثل القطـب الآخر بطل القصـة وحضارة المدينـة الفاضلـة وينتهى الصراع بـالحكم على البطـل بالاعدام إلا أن المطر يوقف تنفيذ الحكم وهو يطفىء النار .

ثم يقول علاء حـامد : إن ما أثار حقا حفيظة رجـال الدين أن بطل القصة كان يعتبر رجال الدين أحد أسباب التخلف الانطوائية والحقيقة أنهم بهذا التقرير يمثلـون قمة التخلف والرجعية والانطـوائية والخجل امام الشعوب المتقدمة .

«ولا تعليـق فكلام المؤلـف هـذا ادانـة جديـدة لـه بعـد ماكتبـه في الرواية» .

ويحاول عـلاء حامـد في رده على تقـرير الازهـر الـرجوع إلى نـص الروايـة للرد على النقاط التـى تناولها التقريـر وسنورد هنا بعـض نقاط التقرير ورده عليها بنص الرواية ليدرك القارىء المسلم رغبة المؤلف في التمادى في بـاطله واصراره على هـذا الباطـل وعـدم الرجـوع إلى الحق والتوبة مما اقترفه من أباطيل في حق الله ورسله وكتبه .

● فالتقرير يقـول : من امثلة سخريته بالجنة قال : «أية جنة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى؟» .

المؤلف : تستطيع أن تفهـم مايعنيه البطل بعد قراءة السطـور التالية صفحة «١٦» .

«أية جنة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى يتناثرون كالأشياء لا هدف لهم ولا غـاية ، تحركاتهم غـريبة يـأكلون ويشربون وينـامون . . يتعـذبون يتحـركـون في صمت لا غضـب ولا حـزن ولا ابتسامـة . . يـروحون ويجيئـون في خطوات متشـابهة مرسـومـة كأنهم مـربوطـون

بخيوط خفية في يد مدبرة تحركهم كما تشاء . . تفرض عليهم سلطانها وقدراتها وماهم الا أشياء تملى عليهم الحركة والكلمة» .

كلمات وردت في هذا النص تنفى عن هؤلاء القوم صفة أهل الجنة «يتعذبون . . فهل أهل الجنة يتعذبون؟ مرضى فهل أصحاب الجنة مرضى؟

ويقول : «الجنة التى قصدها المؤلف في روايته لم تكن سوى مكان على الارض بعد قيام الحرب العالمية الثالثة .

«ومابقى فوق قشرتها ليس سوى وهم اسمه الجنة والخلود والحقيقة محزنة مؤلمة ، حقيقة تلك البقايا الآدمية الحيوانية التى استبقت الحياة لوقت غير معروف مدة نهاية البشرية .

● التقرير : القصة تنكر البعث والحياة الاخرى .

المؤلف : بقراءة متأنية نجد أن البطل يسأل : «هل هذه هي الجنة؟» بل وينكر أن تكون هذه الارض هي الجنة وينكر عليهم اعتقادهم أنهم بعثوا على هذه الارض بعد موتهم وهو يتساءل : «هؤلاء الناس يعيشون في عصور الظلام والاظلام . . ظلام الافق واظلامة العقل معتقدات بالية أن يبعثوا من جديد بعد موتهم وهذه هي جنتهم الموعودة عرضها السموات والارض كثير منهم يتحدث عن حياتهم الأولى فمتى وأين كانت تلك الحياة هل حقا تلك هي الجنة؟ أم التى في كوكب آخر مازال بعيدا عن ركب الحضارة .

● التقرير : يبث الشك في معتقد الجنة ويسخر منها ويعرض الحياة فيها في صورة جنسية ساقطة ثم يقول انها «أي الجنة» مستنقع الرذيلة وجنة المسكرات .

المؤلف : هذا اسفاف وتحريف وتزوير للاسباب التالية :

١ - بالنسبة للشك في معتقد الجنة فبطل القصة يشك فعلا في معتقد قومه أن مايقطنوه هو الجنة بعد أن بعثوا إليها كما سبق أن أسلفنا وماصلة هذا بمعتقد الجنة ذاته إلا ان تكون الرغبة في التحريف والتزوير والقياس الفاسد.

٢ - بالنسبة لعرض الحياة فيها بصورة ساقطة وهذا صحيح لأن الصورة الساقطة يتوائم وتتفق مع مارسمه المؤلف من أحداث رغم هذا فبطل القصة ينكر هذه الصورة وهو يقول غاضبا: «ليست جنة بل مستنقع للرذيلة.. هل هذه هي الجنة؟.. الرذيلة في وضح النهار».

ولكن ماذا تعني كلمة الجنة في الرواية بالنسبة لرجل الأزهر الشريف جدا ولماذا يصر على أن هذه الكلمة مقصود بها تلك الجنة التى وردت أوصافها في الكتب السماوية.

● التقرير: يصف العلماء الإسلاميين بأنهم أصحاب خمر وشهوة ويقول «آفة تلك المجتمعات هي تلك الحثالة التى جعلت من الدين ستارا تخفى خلفه كل الموبقات».

المؤلف: رغم أن هذه العبارة تتصل بأحداث الرواية إلا أنها حتى بعيدا عن أحداث الرواية فهي عبارة لا غبار عليها فالذين يجعلون من الدين ستارا يخفون خلفه كل الموبقات هم في الحقيقة حثالة.

● التقرير: يتحدث المؤلف عن الطواف حول الكعبة وعن أداء المناسك وأن رجال الدين يخالطون الناس ويعربدون.

المؤلف: سطور الرواية تبين تزوير وغش وخداع رجل الأزهر «يقصد برجل الازهر هنا كاتب التقرير وهو في الحقيقة لجنة عليا من علماء مجمع البحوث الإسلامية كما ذكرنا».

«شرد أفكاري ذلك المعبد الذي يتوافد عليه الناس فرادى وجماعات

«معبد وليس كعبة» يطوفون حوله ويتزاحمون ليقبلوا جدرانه . . يبصقون في وجه الشيطان ، يصرخون طالبين المغفرة . . إنهم يتألمون بلا دموع وبلا مشاعر . . ألم الحيوان . . عذاب القرود . . رجال الدين يرتدون الرداء الاحمر والقلنسوة السوداء . . الشكوك تزاحم عقلى تقهره . . هل هذه هي الجنة مجموعة من البلهاء يقبلون الحائط يبصقون على الشيطان» .

فهل سطور الرواية توحى من بعيد أو قريب بالكعبة؟ أم لمجرد ذكر كلمة يطوفون استنتج الأزهر أن هذا الطواف هو طواف حول الكعبة .

● تقرير الازهر : الحضارة لا صلة بينها وبين الاعتقاد بوجود اله ولا ارتباط بين الحضارة وهذه المعتقدات .

المؤلف : هذه قيلت بمناسبة محاكمة البطل أمام محكمة الحقيقة ورغم أنه لا يمكن فصل القصة عن مضامينها إلا أنه بصفة عامة ماقيل هنا ومايؤاخذ الأزهر المؤلف عليه ليس سوى حقيقة فليس بالضرورة أن يكون أصحاب الديانات السماوية هم من يملكون الحضارة والدليل على ذلك قدماء المصريين وبابل والأشوريين في العصور القديمة واليابان والاتحاد السوفيتي والصين في العصور الحديثة .

● شهادة أدبية تدين المؤلف والرواية:

إذا كان علاء حامد قد اتهم تقرير الأزهر حول روايته الملحدة «مسافة في عقل رجل» مدعيا أن التقرير قد قوله في الرواية ما لم يقل فإننا نسوق هنا بعض القراءات النقدية التى كتبها الأدباء حول الرواية وهي في حقيقتها إدانة للمؤلف .

ففي مجلة شباب بلادى التى تصدر في مصر كتب الأديب محمد الجمل في ٢٥ يونيو ١٩٨٨م رؤية نقدية حول الرواية تحت عنوان «قصة كفكاوية في الأدب المصرى» يقول :

«القصة أشبه برحلة شاقة مريرة يقطعها بطل يبحث عن الذات والهوية، وبطل الرواية هو علاء حامد بشحمه ولحمه، بفكره، بإحباطاته وأحلامه.

والمؤلف يصدم القارىء في البداية بالخروج على كل ماهو معتاد ومألوف من الأفكار والمعتقدات، وهذه الرواية في الحقيقة يمكن أن تندرج تحت اتجاه الأدب الوجودى في الرواية المصرية المعاصرة وهي من نوع الادب الوجودى الملتزم حيث يبدأ بطل الرواية رحلته من شاطىء الحيرة والشك وينهال بفأسه ليجتث جذور كل ماهو راسخ وقديم ولم يعد يصلح لحياة العصر والرواية تذكرنا برواية «المحاكم» للاديب الالمانى «فرانزكافكا» حيث تنتهى الروايتان بمحاكمة البطل إلا أن بطل كافكا ينتهى الى العدمية واللاجدوى من الحياة وبطل علاء حامد يجد الخلاص في النظرة العقلانية والمتغيرة التى تحقق سعادة الانسان وتحلق به في آفاق المدينة الفاضلة التى هي «الجنة على الارض».

والحقيقة أن هذه الرواية تذكرنا بروايات أدباء عصر النهضة الاوروبية من حيث المضمون فقد ثار أدباء هذا العصر على تحالف البلاط الملكى والكنيسة والإقطاع ومهدوا بذلك إلى الاحتكام للعقل وغلبة النظرة العقلانية.

ثم يقول محمد الجمل : ولكنى - للامانة - اختلف مع الكاتب فيما

ذهب إليه من أن النظرة العقلية المحضة يمكن ان تصنع المدينة الفاضلة والجنة على الارض وأنا أحتكم في ذلك إلى دليل تاريخى فعندما نادت أوربا بسيادة العقل منذ عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية جاء بعد نهايتها أدباء ومفكرون مثل مولين ولسون ويونسكو ليعلنوا سقوط العقل الذي أدى بهم إلى الكوارث والحروب الطاحنة، ولكن ذلك لا يعنى إلغاء العقل مثلما لا يعنى إلغاء القيم الخلقية البناءة المستوحاة من الاديان مما يدعونا الى اخذ كل ماهو جميل وبناء من تراثنا وكل ماهو حضارى مبتكر من الحضارات الاخرى أخذا بمبدأ الأصالة والمعاصرة».

● وفي مجلة روز اليوسف كتب الناقد الادبى ابراهيم فتحى في ١٨ فبراير ١٩٩١م تحت عنوان «قراءة في رواية مصادرة» يقول: مسافة في عقل رجل قصة خيالية تدور في ذهن شخصية منقسمة على نفسها فقدت كل يقين ووقعت فريسة للشك وانعدام الطمأنينة العقلية وساورتها الريبة فيما يتعلق بالمسلمات والقيم السائدة وتلك الشخصية تشبة آلاف الناس في الشرق والغرب يقيمون حياتهم على الربا والخمور والمواخير البشرية والسياسية والظلم المقنن.

ثم يقول: نحن أمام رواية تصور حالة فكرية هي حالة الشك والهواجس ووثوب الاسئلة المحيرة تنهش العقول وتعجز عن الخروج منها العقول، وهنا لا نجد صراعا فلسفيا بين أفكار الشك والالحاد وأفكار الايمان بل صورة أدبية خيالية لحالة وجدانية تجسد الاضطراب والاهتزاز وعلى الرغم من أن أفكارا إلحادية تنهش عقل البطل في تعبيرات محددة إلا أنها تملأه تعاسة وشقاء وتقترب بعقله من الجنون

ولا يشجعنا سياق القصة على التعاطف مع هذه الافكار عالية الصوت شديدة الضجيج فهي فتنة للعقل وتدفع البطل إلى مهاوى الذل والعار.

وخلاصة القول ان هذه حالة نفسية مصورة، حالة خلل يعبر السياق عن حدته وقسوته ولا يحرضنا على التعاطف مع الشك والالحاد، ولسنا أمام محاورة فلسفية منسقة تنتقل من مقدمات الى نتائج منطقية بل أمام خيالات وقوى نفسية خفية واحباطات على الرغم من أن هذه الخيالات تأخذ في الازمة المرضية شكل هجوم حقير على المسلمات الدينية في ذهن مخبول».

● وفي ٣ يناير ١٩٩٢م وبعد صدور الحكم بالسجن على المؤلف نشرت مجلة «المصور» تحليلا عن الرواية ليوسف القعيد قال فيه: من الصعب تلخيص الرواية لافتقارها العمود الفقرى لاي نص أدبى ألا وهو النص، وهي رحلة يقوم بها البطل في الجنة ومعه آم أبو البشر ويقابل خلال هذه الرحلة أنبياء الله جميعا ويناقشهم في المعجزات التى أتو بها وفي النهاية تتم محاكمة البطل ويحكم عليه بالاعدام.

وباعتبارى روائيا فقد قرأت الرواية موضوع الدعوى وبصراحة تامة لم تستهوني طريقة كتابتها، لم أشعر بأى متعة وانا أقرؤها هذا بصرف النظر عن الاختلاف المشروع حول ماتذهب اليه الرواية وماتحاول تقديمه. ويخيل إلى أن الكاتب أصابه تعب حقيقى من طول المسافة وبعد المشقة من الضنى والتعب والكتابة دون أن يكون هناك أثر ما لكل هذا، أتصور أنه كاتب وحيد يعانى من حالة عزلة أوصلته الكتابة بدون شهرة والتعب من غير عائد إلى الضفة الأخرى لليأس.

وانطلاقا مـن أرضية المأزوم قرر أن يعلن الحرب على الجميـع مؤمنا بأن ألـف كاتـب طليق حـر لن يصلـوا أبدا الى شهـرة كاتـب واحد في السجن .

ربما اكتشف المؤلف أن الاستشهاد الذي هـو أقرب إلى الانتحار هو المخرج الوحيد من أزمته فقـرر أن يضرب عرض الحائط بكل مافي هذا الواقع وليكن مايكون فإن كانت الشهرة الملعونة لم تأت بالطرق العادية فلابد من الوصول اليها من خلال مغامرة هي أقرب إلى الجنون .

● وفي ١ ينـايـر ١٩٩٢م كتـب احمد عبـد المعطى حجـازى مقـالا بجريدة الأهرام قال فيه :

«لقد ألـف هذا الكـاتب رواية رأى فيهـا البعض مـا يمس عقـائدنا الدينية ، وأنـا لم اقرأ هذه الرواية ولا أستطيع أن أحكـم لها أو عليها من الوجهة الفنية ، كما أني استنكر أى استخفاف بالمشاعر الدينية وأرى أن الكـاتب الـذي يبنى سمعتـه ويستجلب شهـرتـه بهذا الطريـق كاتـب فاشل .

وأن الحركة الثقافيـة المصرية كانت تستطيع أن تتجنـب هذه النتيجة المأسـاوية التـى أطـارت شهرة عـلاء حـامـد في أركان المعمـورة كما لا تستطيع أن تفعل جائزة نوبل لو حصل عليها .

● المدافعون عن المؤلف من العلمانيين والشيوعيين :

انبرى للدفاع عن مؤلف «مسافة في عقل رجل» بعض الصحف المصرية ذات الطابع العلماني أو الشيوعى تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة ورجعت في دفاعها إلى آراء بعض العلمانيين والشيوعيين الذين دافعوا عن الرواية ومؤلفها .

ومن هذه الصحف جريدة الأهالى المصرية لسان حال حزب التجمع وهو حزب الشيوعيين في مصر ، فبعد صدور حكم المحكمة على المؤلف وفي ١ يناير ١٩٩٢م نشرت الصحيفة موضوعا مطولا تحت عنوان «٨ سنوات سجن لمؤلف» أوردت فيه خلفية كاملة للقضية وأشارت فيه الى تقرير الازهر ضد الكتاب وإلى رد الدكتور أحمد صبحى منصور على تقرير الازهر والذي وصفه فيه بأنه مخالف للتشريع الاسلامي .

كما أوردت فيه البيان الذي أصدرته المنظمة المصرية لحقوق الإنسان حول الكاتب وروايته والذى يدعو نائب الحاكم العسكرى الى عدم التصديق على الحكم باعتبار أن هذا الحكم يشكل انتهاكا لحرية الرأى والتعبير والإبداع الفنى والادبى وسبة في جبين مصر التى يعرف في تاريخها الحديث سجن أديب بسبب أعماله الروائية .

واستطلعت الجريدة آراء الكتاب والمثقفين الذين دافعوا عن المؤلف ومنهم الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى الذي هاجم قانون الطوارىء المصرى وطالب بوقفه لأن الحكم صدر بموجبه ومحمد فايق أمين عام

المنظمة المصرية لحقوق الإنسان الذي وصف الحكم بالقسوة وقال إن ذلك سوف يؤثر على مستقبل حركة النشر والفكر في العالم العربى .

ومنهم د . اسماعيل صبرى عبدالله الذي يعتبر حبس المؤلف صدمة لأي مواطن يؤمن بحرية الرأى والتعبير .

والكاتب محمد عودة الذي يرى أن هذا الإجراء يهدد الازدهار الثقافى وهو أثمن ماتملكه مصر .

ومنهم نبيل الهلالى المحامى عن المتهم والذي قال في مذكرته القانونية التى نشرتها الجريدة : إن مؤلف الرواية ينفرد عن كل المتهمين - ظلما - في مصر بالتطاول على الاديان والإلحاد بالوقوف في قفص الاتهام وبتحريك الدعوى العمومية ضده وبمطالبة النيابة العمومية بمعاقبته جنائيا لا لشيء إلا أن بعض المتهوسين والمتزمتين أثاروا ضجة حول الكتاب ، فإذا بالدولة التى تدعى محاربة التعصب والتطرف الدينى تخضع للابتزاز وتمارس منهج التفكير ضد المفكرين والمبدعين ، ومن المضحك أن الكتاب موضوع الدعوى صدر عام ١٩٨٨م وأودع في هيئة الكتاب لإيداعه في دار الكتب المصرية في ١١ ابريل ١٩٨٨م وطرح في الاسواق منذ بداية ٨٨ وتم طبعه في مصر حيث لا يطبع الا بعد اجازته من الرقابة الخفية التى تفرضها مباحث أمن الدولة على المطبوعات كما آن مؤسسة مملوكة للدولة هي التى قامت بتوزيعه وتسويقه تحت سمع وبصر أجهزة الأمن .

ودافع د . حسن حنفى عن المؤلف بقوله : إن الفكر والادب حق طبيعى للإنسان يكفله الدستور الذي يكفل حرية التعبير والاعتقاد والحركة حتى لو كان هناك خلاف في الرأى حول عمل فكرى أو أدبى

فإن القضـاء ليس هـو السبيل لحل الخلاف بل الـرد على الفكر بـالفكر وتطبيق مقاييس النقد الفنى وحده كمعيار للأعمال الادبية .

وفي نفس العـدد من جـريدة الاهـالى كتب الصحفـى عبد الـوارث الدسوقـى يقول : إن جرائم الفكر لا يجب أن تعـالج جنائيا بـل تعالج بالحوار والمناقشة والوسيلة الوحيدة للوصول إلى حل القضايا هي طرح هذه القضايا للحوار حتى يستطيع كل من يهمه الأمر إبداء رأيه .

وفي التاريخ الإسـلامي هناك العديـد من القضايا الخلافيـة ولم يتهم أحد بـالكفر والإلحاد وهـذه القضايـا الخلافية مـوجودة حتـى الآن في كتب التاريخ .

وفي ٣ ينـاير ١٩٩٢م وبعـد صـدور الحكـم بالسجـن على المؤلـف نشرت مجلة المصور موضوعا عن القضيـة وصفت فيه الحكم بأنه أخطر حكم في القـرن العشرين وقـال يوسـف القعيد كـاتب الموضـوع : منذ صدور الحكم وفي أوساط المثقفين حالة مـن الصدمة تصل الى حد الهلع والرعب لأنه في كل القضايا المماثلـة السابقة كان هناك اكتفاء بمصادرة العمل دون أى حكم ضد صاحبه أو طابعه او ناشره .

وقال إنني لم أقـرأ أيا من أعمال علاء حامد حتـى يكون لى رأى فيها ولم أقـابل كـاتبا اعترف أنـه قـرأ أحد هـذه الأعمال أو بعضها ، ورغـم متـابعتى الـدؤوبـة والمستمـرة للواقـع الثقـافي المصرى والعـربى منـذ منتصـف الستينات وحتـى الآن فـلا أكاد أعـرف هذا الـرجـل معرفـة بالاسم أو الشخـص ولم ألحظ أنه جزء من جماعـة أو جيل أو اتجاه ذلك أن الكتابة الأدبيـة ليست عملية معملية يغلـق فيها الكاتب أبـواب بيته عليـه ويكتب ثـم يطبـع وينشر ، لابـد من التفـاعـل الحى مـع الـواقـع الثقافى .

ثم يدافع يوسف القعيد عن المؤلـف قائلا : ثم ماهي خطورة رواية

لم تـوزع خلال ٣ سنـوات سوى ٨٩ نسخـة في بلـد يسكنه ٥٥ مليـون مصرى؟ وماهى الخطورة التى تمتلكها روايـة ونحن أمامنا جبال الأمية التى تزداد يوما بعد يوم؟ ثم ماهى حكاية مجمع البحوث الاسلامية مع الكتـب؟ إن وظيفة الأزهـر طبقا للقـانون رقـم ١٠٣ سنة ١٩٦٠ هـي العمل على إظهـار حقائق الاسلام في مواجهـة الآخرين وليـس ضمن هذه الوظيفة تعقب الاعمال الادبية ومصادرتها .

إن الاسلام نور وهداية ومحاكـم التفتيش اختراع أوربى توجد الآن رغبة كبرى لـدى البعض لكـى يتم إلصـاقها بـالإسلام زورا وبهتـانا، فمصر عـرفـت في المنطقـة في السنـوات الأخيرة بحـريـة في التعبير غير مسبوقة وديمقراطية نباهى بها بعد أن اكتشفنا أنه لم يعد لدينا شيء آخر نباهـى به، إن المساس بحريـة التعبير ومحاولة تعكير الجو الديمقـراطى إساءة للنظام والحكم قبل ان تكون إساءة للشعب المصرى .

● وقبل صدور الحكم على المؤلف وأثنـاء التحقيقات تطوع للدفاع عنه امـام المحكمة اثنـان من العلمانيين المجـاهريـن بكرههـم للإسـلام وعدائهـم له رغـم أنهما من المسلمين الأول هـو الدكتور فـرج فودة(١) زعيم العلمانيين في مصر والثـاني هي الدكتـورة نوال السعـداوى رئيسة جمعية تضامن المرأة العـربية التى قامت الحكومة المصريـة مؤخرا بحلها لنشاطها المشبوه والمخالف للإسلام .

أما الدكتور فرج فودة فقد دار بينه وبين هيئة المحكمة الحوار التالى :

● هيئة المحكمة : ماهي علاقتك بعلاء حامد؟

■ د . فرج فودة : لا توجد علاقة بينى وبينه وانا لم أقابله من قبل .

● هيئة المحكمة : على ماذا تشهد؟

■ د. فـرج فـودة: أنا لا تـوجـد عـلاقـة بينـى وبين علاء حـامـد وشهـادتى حـول حريـة الكاتـب في الاعتقاد وفي إبـداء الرأى وفقـا لما يكفل الدستور ومواثيق حقوق الانسان والعقيدة الاسلامية ذاتها.

● هيئة المحكمة: هل اطلعت على الكتاب المذكور؟

■ د. فرج فودة: نقـل لى صديق مضمون الكتاب مـؤخرا كما أننى قرآت في الصحف القومية متابعة الموضوع ولم اقرأ الكتاب حتى اليوم.

● هيئة المحكمة: ماقولك فيما جاء بتقرير مجمع البحوث الإسلامية بالازهر عن كتاب «مسافة في عقل رجل»؟

■ د. فرج فـودة: قرأت هـذا التقرير وأنـا في طريقـي إلى التحقيق وحزنت جدا لضيـاع أموال المسلمين وجهد علماء المسلمين فيما جاء في التقرير.

والقراءة السريعة للقرآن الكريم تؤكد أن أكثر من هذه الاتهامات ان صحت قد حـدث في حق الرسول والـدين الإسلامي ولا يـوجد نص قرآنـى واحد يجرم ذلك في الدنيـا فكل النصوص تحيل العقـاب إلى يوم القيامة او الآخرة.

وبالنسبـة للكفر بعد الإسـلام ذكر القرآن ﴿ ويحلفـون بالله ماقـالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إيمانهم ﴾.

وسوف أقدم تقريرا عن رأيى فيما يسمـى بجريمة الردة ولكنى أذكر أن ماورد في تقرير الأزهر باستثناء احتقار الدين إن صح لا يدخل تحت جريمة ازدراء الاديان وهناك فرق بين الاحتقار والازدراء.

● هيئة المحكمة: مادليك على ذلك؟

■ د. فـرج فودة: دليلى على ذلـك أن غير المسلمين مثل النصـارى

واليهود ينكرون بداهة الدين الإسلامي فهل أفكارهم تعد جريمة؟

أما بالنسبة للازدراء المشار إليه إن صح فإنه واضح من تقرير الأزهر أن الكاتب يروى خيالا ويقصد حلها وأن مسألة تفسير بعض الخيال على أنه ازدراء للدين مسألة تقديرية الواجب أن يرد عليها بالرأى وليس بالعقاب .

● هيئة المحكمة : ماقولك فيما جاء في تقرير مجمع البحوث عن الكتاب سالف الذكر من انطوائه على عبارات تتضمن ازدراء للاديان والانبياء بصفة عامة والدين الاسلامي بصفة خاصة؟

■ د . فرج فودة : هناك عبارات لا يختلف عليها أحد وأنا شخصيا لا أختلف عليها من أنها لا تتنكر للدين ولا تزدريه كقوله : «أنا مسلم بالميراث ولو ولدت من صلب ملحد لأصبحت ملحدا فلا اختيار للمسلم في دينه» فما ذكره المؤلف هو إقرار بحقيقة ومجرد رأى وليس فيه أي شبهة إزدراء وأيضا قوله : «ثم لماذا يغير الإنسان عقيدته وقد فقد اهتمامه بالدين كمنهاج في الحياة» .

فلو قال الاستاذ علاء أكثر من ذلك بمعنى أنه لو قال أنه هو نفسه فقد اهتمامه بالدين كمنهاج في الحياة فهذا الخوض في تقديره ضمن حرية الاعتقاد المنصوص عليها في الدستور وهذا يعنى حرية الإيمان او تغيير المذهب من شافعى إلى حنبلى ثم قوله «ماجدوى الأديان وقد شدت الشرق إلى أحضان التخلف ورفعت هامة شعوب لا تؤمن بالأديان . . ؟»

هذا في تقديرى مجرد رأى كان يجب على المدافعين عن الدين أن يردوا عليه بما هو جدوى الأديان وتفسير كيفية ارتفاع هامة الشعوب التى لا تؤمن بالأديان إلى قمة الحضارة .

ثم قـوله «انقلـب الحال فأصبح الـدين سبـة في تواريـخ الشعوب» واضح هنـا أنه يتكلـم عن الديـن على اطلاقـه ومعلوم ان هنـاك أديان سماويـة وأخرى غير سماويـة والقصـد في العبـارة غير واضح وفي كـل الاحوال هو تساؤل يضاف الى التسـاؤلات السابقة ورأى يجب ويمكن الرد عليه.

ثـم تسـاؤله «وهـل يعنـى ذلـك أنـه يجب وضـع الديـن في إطـاره الصحيح وهو عـلاقة الإنسان بربـه فقط..!! هذا في تقديـرى تساؤل مشروع ويدخل ضمن الخلاف السياسي وليس الدين لأن البعض يرى أن الإسلام دين فقط والبعض يرى أنه دين ودولة.

وفي النهاية هو مجرد تساؤل وليس ازدراء.

أما مـاقيل عـن سخريته بـالعلماء «مع التعسـف في التفسير» وذلك بمقولة «إخـوان شمهورش» والمقصود هنا علماء الدين مـن قال هنا إن التفسير صحيح؟ ومـن قال إن لعلماء الدين حصـانة ضد النقـد وحتى السخـرية؟ ومـن قـال إن الهجوم على علماء الـديـن يعنى الهجـوم على الدين.

ومن قال إن ماذكره الأستاذ علاء عن «إخوان شمهورش» لا ينطبق على بعض المتاجـرين بالديـن في حد ذاته يجنون مـن وراءه ثمرات المال والسلطة.

أما العبـارات التى وردت في التقـرير تفيـد التشكيك ان صـح فهذا ليس تشكيكا وهو ليس اكثر من تسـاؤلات فلسفية وحتى لو قال ذلك بأدب ولباقة فهل يعد هذا ازدراءا وانكاراً؟.

لو أنـه ذكر الأمر بصيغة الإثبـات وليس بصيغة التساؤل لكـان هذا إنكارا للدين ولكن هذا آمر يدخـل ضمن حرية الاعتقاد وحرية الفكر واذا كـان هنـاك مـن يكتـب مجلـدا فهنـاك الآلاف ممـن يـردون عليـه

ويؤكدون على الايمان.

أما حديثه الذي فيه الشك في ماديات الجنة من «الحور العين..» فهو تساؤل فلسفى مشروع انساق فيه الى ظاهر النص كما يعتقد بعض العلماء وان كان هناك تفسير آخر للجنة والنار يتجاوز نص الالفاظ وظاهر العبارات إلى المعانى الروحية.

أما قوله «نحن الحقيقة والحقيقة نحن وماعدانا هو الوهم وطالما أن الله الحقيقة فأنا الله»

هذا القول هو قول صوفى مأثور ومنقول عن الحلاج وهو أحد الأئمة الصوفية ومنه قوله «لا يوجد في الجنة إلا الله» وأما قوله «لقد عجزت الأديان عن تفسير علمى..» فهو يعبر عن شك في الأديان دون تحديد ماهو المقصود من الاديان هل دين سماوى أو غير سماوى.

وواضح من التقرير أن كل مايقال مجرد شكوك والشك لغويا هو حالة وسط بين القبول والرفض.

وأما قوله: «أليس من حقنا أن نتساءل عن الرسل؟ من هم؟ وماهي هويتهم؟»

فهو سؤال مشروع موجه إلى علماء الدين الذين كان واجبهم أن يوضحوا من هم الرسل؟

ويختم د. فرج فودة شهادته أمام المحكمة بقوله: إننى لا أدافع عن علاء حامد ولكن أدافع عن قيمة حرية العقيدة التى أرى أنها مطلقة بغير حد، وحرية إبداء الرأى التى يجب أن تكون مكفولة بغير ضبط.

وأما الشهادة الثانية فقد جاءت من الدكتورة نوال السعداوى وهي - كما ذكرنا - رئيسة جمعية تضامن المرأة العربية التى قامت الحكومة

المصرية بحلها لنشاطها المشبوه وهذا نص الحوار الذي دار بينها وبين هيئة المحكمة :

● هيئة المحكمة : ماتعليقك على ماورد في تقرير مجمع البحوث الإسلامية في شأن كتاب «مسافة في عقل رجل» من احتوائه على عبارات تحقر الأديان السماوية والرسل ؟

■ د . نوال السعداوى : أنا لا استطيع أن أرد على كل مقطع على حدة من هذه العبارات وانما من الممكن ان اتحدث عنها بشكل عام فهي قضية خيالية لا تخضع لمقاييس العقل او المنطق أو أي مقياس آخر والكتاب أيضا ليس كتابا فلسفيا أو دراسة في الدين ولكنه مجرد خيال في خيال .

● هيئة المحكمة : ماتعليقك اذاً على ما ورد بتقرير مجمع البحوث من انطواء الكتاب على ازدراء للأديان والكتب السماوية بصفة عامة والرسل والأنبياء والمعتقدات الدينية والدين الاسلامي بصفة خاصة ؟

■ د . نوال السعداوى : أعتقد أن ماورد في التقرير هو عدم فهم وسبب الاختلاف هو استخدام مقياس المنطق في عمل غير منطقى وخيالى فهو هو سبب الاختلاف مثل استخدام مقياس الذهب لقياس الماء .

● هيئة المحكمة : ماهي علاقتك بالمتهم ؟

■ د . نوال السعداوى : لم أره في حياتى وإننى أدافع عن حرية المعتقد وحرية الفكر .

● هيئة المحكمة : هل لديك أقوال اخرى ؟

■ د . نوال السعداوى : أقول إن المؤلف الروائى لا علاقة له بالشخصيات الخيالية التى يرسمها في روايته وربما يكون مختلفا معها فلسفيا ومثال ذلك أننى إذا كتبت عن امرأة سيئة السمعة فليس معنى

ذلك أن الكاتب او الكاتبة سيئة السمعة .

■ تعقيب : والحقيقة أن هذه الشهادة التى شهدها كل من فرج فودة زعيم العلمانيين في مصر ونوال السعداوى ذات الفكر الشيوعي والداعية الاباحية وتحلل المرأة أمام المحكمة وإن كانت في ظاهرها دفاعا عن المؤلف الا أنها في حقيقة الامر إدانة جديدة له يضاف الى ماحمله كتابه من إدانات مختلفة ، وهي شهادة تؤكد على عداء المؤلف للاسلام ومحاربته للاديان ونيته المبيتة للتهجم على الرسل والانبياء وتعمده لتحقيق هذا الهدف من خلال كتابه محل الاتهام ، ولو كان الامر غير ذلك ماتطوع هذا العلمانى وتلك الشيوعية للذهاب الى المحكمة والدفاع عنه فهما كما قالا في شهادتهما لا يعرفان المؤلف ولم يقرأ أى منهما ماكتب المؤلف ولكنهما ادركا ان ماكتبه يسهم في تحقيق أهدافهم الخبيثة في حرب الاسلام وتهميشه والطعن فيه وإبعاده عن ساحة الحكم في البلاد ومن هنا تطوعا للدفاع عن صاحب هذا الكتاب أيا كان هو حتى لا تدينه المحكمة ويتمكن من إكمال رسالته في خدمة هدفهما الخبيث ولكن لم يتحقق لهما ماسعيا من أجله ، ويبدو أن هيئة المحكمة قد ادركت خبثهما الذي بدا من شهادتهما فاتخذتها ادانة للمؤلف لا دفاعا عنه وأصدرت حكمها بسجنه .

● وقد تطوع للدفاع عن المؤلف أحد المنكرين للسنة النبوية في مصر وهو الدكتور أحمد صبحى منصور الحاصل على الدكتوراه في التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية من جامعة الازهر والذي تم طرده من الجامعة لانحراف فكره .

فقد كتب هذا الدكتور يرد على تقرير الازهر عن الرواية مدعيا أنه

يخالف القرآن والمتوارث في فكر المسلمين وحضارتهم ويخلط بين حرية العقيدة وبين حرية سب الاديان وتسفيه العقائد والتطاول على الله سبحانه وتعالى.

ونسي هذا الدكتور المطرود من الازهر أن حرية العقيدة شيء وأن حرية الطعن في العقيدة شيء آخر فحرية العقيدة هي لغير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى فليس لاحد ان يجبرهم على الدخول في الاسلام أو يحرمهم من ممارسة شعائر دينهم بحرية ثم هي حرية المسلمين في ممارسة شعائر دينهم لا في الخروج عليه والارتداد عنه والاساءة إليه وإنكار وجود الله وتسفيه الرسل والانبياء والحط من شأنهم فكل هذه أمور توجب تطبيق حد الردة وهو من الحدود الاسلامية المقررة والثابتة بالقرآن والسنة وإجماع الأئمة.

فحرية العقيدة لمن آمن بالاسلام ودخل فيه تختلف عنها بالنسبة لاهل الشرك وأصحاب الديانات الاخرى فهى تعنى بالنسبة للمسلم ألا يرغم على ترك الإسلام وان يكون حرا في ممارسة شعائر دينه ولا تعنى ابدا ان يرتد عن الإسلام أو يخوض في أحكامه وعقائده بالباطل وينكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة لانه إن فعل ذلك فإن شريعة الإسلام الذي آمن به قد وضعت نظاما للعقوبات ممثلا في جرائم القصاص والحدود والتعزيرات.

ومؤلف «مسافة في عقل رجل» في هذه الحالة ينطبق عليه حد الردة طبقا لنظام الحدود في الإسلام.

ولو كان المسلم حرا في كل شيء - كما يقول صبحى منصور - وخاصة حرية العقيدة وأن حسابه على الله يوم القيامة ولا داعى

لمحاسبته في الدنيا فإنه لا أساس لوجود حد الردة في الاسلام ولا غيره من الحدود لان الذي يستحل الزنا ويزنى ويستحل السرقة ويسرق هو في حكم الاسلام مرتد ولا ضرورة هنا لأن يطبق عليه حد الزنا ولا السرقة اعمالا لحرية العقيدة التى يقصدها صبحى منصور المدافع عن الباطل، وهذا كلام غير مقبول على الإطلاق.

ثم إن علاء حامد عندما كتب «مسافة في عقل رجل» التى أدانها الازهر لم يعلن أنه قد ارتد عن الإسلام وإنما أقر بأنه مسلم ورغم ذلك قام بانكار كل ماجاء به الاسلام وتطاول على غيره من الاديان والرسل والانبياء فأي حرية للعقيدة في أن يهدم المسلم أمور عقيدته التى يؤمن بها وينكر كل شيء فيها؟!

ويدافع الدكتور صبحى منصور عن مؤلف الرواية تحت دعوى حرية الفكر وهو هنا ضال ومضل فحرية الفكر ليست مطلقة بل هي منضبطة بما ورد في التشريع الإسلامي من أحكام قطعية وأصول ومبادىء عامة تعتبر من أركان الدين والشريعة، وهي حرية مكفولة للجميع بشرط ألا ينتج عنها مايحمل على الفوضى أو يشير إلى الفساد والإفساد أو تكون وسيلة لهدم أسس الاسلام التى جاء بها الشرع الحنيف.

فالاسلام لم يضع قيدا على حرية الفكر إلا حماية للدين باعتباره أول الضرورات للانسان، وحفاظا على أركانه وأصوله وتشريعاته فليس من حق شخص يدعى أنه يفكر ثم يصل بتفكيره هذا الى نفي الألوهية أو الرسالات السماوية أو الطعن في مسلمات العقيدة وإعلان ذلك على الناس.

فالمعتقدات في الإسلام والأصول المقررة في الشريعة ينبغي أن تكون

فوق حريـة الفكر وحرية الرأى وليس هـذا قيدا على الحرية وإنما ضمان حقيقى لها .

● محاكمة علاء حامد

بـدأت قضيـة هذا المؤلـف في مصر تظهـر للـوجود في أواخـر عـام ١٩٨٩م عندما تقدمت السيدة وفـاء أحمد عبد العزيز الموظفة بمصلحة الضرائب في مصر بشكـوى للنيابـة الإدارية تتضرر فيهـا من اضطهـاد رئيسها في العمل لها ويـدعى علاء حامد وذكرت في الشكـوى أنه ألف كتابا مخالفا للأديان بعنوان «مسـافة في عقل رجل» يقع في ٢٣٩ صفحة يتم تـوزيعه منـذ فترة طويلة وأرفقـت الشاكيـة نسخة مـن الكتاب إلى النيابة الادارية وبمواجهة المؤلف قـال إن الدستور يكفل حرية العقيدة والفكر لكـل مواطـن وأنه معتمـد كمؤلـف درامى بـالاذاعة منـذ عام ١٩٨٠م بجانـب عمله بالضرائب وأنـه يقوم بكتـابة أعمال تليفزيـونية لبعض الدول العربية .

● قامت النيابة الإدارية بالتحقيق معه بخصوص هذا الكتاب الذي يعد خروجـا على النظام العام للدولـة وتحريضا على الإلحاد والانحلال ولم تشأ النيـابة الادارية أن تستقـل بتقدير مـدى خطورة ماتضمنه ذلك الكتاب فقامت في ٣١ اكتوبر ١٩٨٩م بـالكتابة إلى فضيلة شيخ الازهر للتنبيه بفحـص الكتاب المذكور للوقـوف على حكم الديـن فيما ورد به واتخاذ مايلزم مـن إجراءات في شأن النسخ المتداولة منـه بالاسواق على ضوء ماينتهى اليـه الفحص . وأرجأت النيابة البت في مسـتولية مؤلف

الكتاب إلى مابعد ورود تقرير الازهر .

● في ٣ مارس ١٩٩٠م أثار الاستاذ احمد بهجت قضيـة هذه الرواية في ركنه «صندوق الدنيا» بجريدة الاهرام حيث كتب مقالا تحت عنوان «صندوق الدنيا» بجريدة الأهرام حيث كتب مقالا تحت عنوان «سلمان رشدى آخر» قال فيه «وهاهـو سلمان رشدى آخر يظهر في مصر مؤلف روائى يزعم أن ماكتبه قصة امتزج فيها فيض الخيال بنبض الفكر» .

في الروايـة إلحاد وتطاول على الذات الإلهيـة وسخرية مـن الانبياء والرسل واستهزاء بالجنة والنار وتكذيب صريح للكتب المنزلة وهجوم عليها .

ويستعرض احمد بهجت بعض ماتضمنتـه الرواية من تطاول على الله ورسلـه وسب للعقـائد والأديـان ويقول في نهايـة مقـالـه «هذا بعـض مايضمه الكتاب من هذيان وتطـاول على المقدسات ولا علاقة للكتاب بـالأدب أو الفن إنما هـو جـريمة نضعهـا تحت نظـر المجتمـع والنيابـة العامة .

● في الشهـر «مارس ١٩٩٠م» أصـدر الشيـخ جاد الحق على جـاد الحق شيخ الازهـر قرارا بتشكيـل لجنة عليـا من عـدد من علماء مجمـع البحوث الاسـلامية لدراسـة ماورد بـالكتاب وقال إن الأزهـر سوف يتخـذ اجراء سريعـا وذلك عقـب انتهـاء اللجنة مـن دراسته وإعـلان رأيها .

● وفي ٢٠ مـارس انتهى الازهـر مـن تقريـره حـول الـرواية وهـو التقرير الذي طالب بمعاقبة المؤلف وأرسل التقرير إلى النيابة الإدارية .

وقد أكد التقرير أن كتاب «مسافة في عقل رجل» يعد ترويجا وتحبيذا بالكتابة لآراء متطرفة وهدامة بقصد إثارة الفتنة وتحقير وازدراء الاديان

السماوية وأنبيائها وخاصة دين الإسلام وكذلك الطوائف المنتمية لهذا الدين ولغيره من الاديان، كما دعا إلى مايؤدى للإضرار بالوحدة الوطنية.

وأضاف التقرير: أن هذا الكتاب يمثل اعتداء من مؤلفه على الاصول الدينية للاسلام واتجه إليها بالازدراء واعتدى على القرآن وادعى انه من صنع البشر كما تهكم على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عدد من الانبياء وتهكم بعلى الرموز الاسلامية من علماء وشعائر وعقائد وطالب الازهر بمعاقبة مؤلف الكتاب طبقا لاحكام قانون العقوبات المصرى والذي يحرم مثل هذا التصرف.

● في ٢٧ مارس ١٩٩٠م قرر المستشار رفعت عبد المنعم رئيس هيئة النيابة الادارية في مصر إحالة المؤلف علاء حامد إلى المحاكمة التأديبية مع توصية تم رفعها إلى اتحاد الاذاعة والتلفزيون بعدم التعامل معه منعا لانتشار أفكاره المسمومة بين الجماهير.

● في أواخر ابريل ١٩٩٠م تم إحالة المؤلف إلى المحاكمة أمام محكمة أمن الدولة الجزئية حيث أمر المستشار محمود يونس المحامى العام لجنوب القاهرة بإحالة المؤلف علاء حامد إلى محكمة أمن الدولة الجزئية لقيامه بتأليف رواية فيها انحراف خطير. كما طالب الازهر بمصادرتها ومحاكمة مؤلفها لسخريتها من أنبياء الله وكتبه.

● في ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م قضت محكمة أمن الدولة العليا طوارىء بالحكم لمدة ٨ سنوات على كل من المؤلف علاء حامد وصاحب مكتبة مدبولى باعتباره ناشر الكتاب.

● في افتتاح معرض القاهرة الدولى للكتاب في مطلع يناير ١٩٩٢م

أثار الأدباء والكتاب في حوارهم مع الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية قضية الحكم الذي صدر ضد علاء حامد ورفض الرئيس الغاء الحكم وقال: لا أستطيع الغاء حكم قضائى لشخص أهان الدين لأن الحفاظ على العقيدة أمر مقدس ولابد من احترام الأديان.

وقد أشاد الداعية الاسلامي الشيخ محمد متولى الشعراوى بموقف الرئيس مبارك وحيا فيه غيرته على الإسلام وقال: ان موقفه من الذين اهانوا الدين هو موقف حاكم مسلم يرفض أي مساس بالاسلام.



المراجــع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الطــريــق الى نــوبــل ١٩٨٨م عبر حــارة نجيـب محفــوظ - د . محمد يحى ومعتز شكرى - دار امه بـرس للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٩ .

٣ - الآيـات الشيطانيـة - الظـاهـرة والتفسير - د . محمد يحيـى - دار المختار الاسلامي - القاهرة ١٩٨٩م .

٤ - شيطــان الغـرب - سلمان رشــدى - الــرجـل المارق - سعيــد أيوب - دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٩م .

٥ - الحقيقـة الغـائية - وائل عـزيـز - دار الحقيقـة للإعـلام الـدولى - القاهرة ١٩٨٩م .

٦ - شيطـانيــة الآيـات الشيطـانيــة وكيـف خــدع سلمان رشـدى الغرب - احمد ديدات - دار الفضيلة - القاهرة ١٩٩٠م .

٧ - مــن وراء سلمان رشــدى؟ - أسرار المؤامــرة على الإســلام د . فهمى الشناوى - دار المختار الإسلامي .

٨ - الصــارم المسلـول على شــاتـم الـرسـول - شيـخ الإسـلام ابـن تيمية - تحقيـق محمد محى الديـن عبدالحميد - المكتبـة العصرية - صيدا بيروت .

٩ - المخططــات الاستعمارية لمكــافحـة الإســلام - محمـد محمــود الصوافى - دار الاعتصام ١٩٧٩م .

١٠ - أســاليــب الغـزو الفكـرى للعــالم الإسـلامـي - د . على محمـد جريشة ومحمد شريف الزيبق - دار الاعتصام ١٩٧٨م .

١١ - المسلمون بين الأزمة والنهضة - د. عبد الحى الفرماوى - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٠م.
١٢ - ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها - د. منيب محمد ربيع - سلسلة البحوث الإسلامية السنة الرابعة عشر - الكتاب الثاني ١٤٠٤ هجرية - ١٩٨٣م.
١٣ - نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية - دراسة مقارنة - المستشار عمر شريف - القاهرة ١٩٩٠م.
١٤ - محاضرات في الفقه الجنائى الإسلامي - المستشار محمد بهجت عتيبه - معهد الدراسات الإسلامية ١٩٩٠م.
١٥ - أحجار على رقعة الشطرنج - الأميرال وليام عاى كار - ترجمة سعيد جزائرلى - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
١٦ - أهداف التغريب في العالم الاسلامي - أنور الجندى سلسلة قضايا اسلامية معاصرة ١٩٨٧م.
١٧ - أصول المجتمع الإسلامي - المستشار الدكتور جمال الدين محمود - سلسلة دراسات في الإسلام - العدد ٢٥٢ محرم ١٤٠٤ - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية.
١٨ - الحركة الصهيونية من داخلها - بحث للدكتور جبر محمد حسن على - منشور بالمجلة العلمية للكلية أصول الدين والدعوة - العدد الثالث - محرم ١٤١٢ هجرية.
١٩ - الإسلام بين قوة أعدائه وجهل أبنائه - مقال للمؤلف نشرته مجلة رسالة الجهاد - العدد ٩٩ - مايو ١٩٩١م.

٢٠ - «الادب التنصيرى» مقال للدكتور نجيب الكيلانى - مجلة الامة ١٤٠٤ هجرية .

● وثائق:

١ - تقرير مجمع البحوث الإسلامية بشأن كتاب «مسافة في عقل رجل» .
٢ - رد المؤلف علاء حامد على تقرير مجمع البحوث الإسلامية بشأن الرواية «مسافة في عقل رجل» .
٣ - رد الدكتور أحمد صبحى منصور على تقرير مجمع البحوث الإسلامية .
٤ - نص شهادة كل من د. فرج فودة والدكتورة نوال السعداوى أمام المحكمة لصالح علاء حامد .

● دوريات:

١ - جريدة الأهرام .
٢ - جريدة الأخبار .
٣ - جريدة الجمهورية .
٤ - جريدة النور الإسلامية .
٥ - جريدة السياسة الكويتية .
٦ - جريدة الاهالى .
٧ - جريدة اللواء الإسلامي .
٨ - مجلة شباب بلادى .
٩ - مجلة روز اليوسف
١٠ - مجلة المصور .

صدر من هذه السلسلة

١ -	تأملات في سورة الفاتحة	**الدكتور حسن باجودة**
٢ -	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	**الأستاذ أحمد محمد جمال**
٣ -	الرسول في كتابات المستشرقين	**الأستاذ نذير حمدان**
٤ -	الاسلام الفاتح	**الدكتور حسين مؤنس**
٥ -	وسائل مقاومة الغزو الفكري	**الدكتور حسان محمد مرزوق**
٦ -	السيرة النبوية في القرآن	**الدكتور عبد الصبور مرزوق**
٧ -	التخطيط للدعوة الاسلامية	**الدكتور محمد علي جريشة**
٨ -	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	**الدكتور أحمد السيد دراج**
٩ -	التوعية الشاملة في الحج	**الأستاذ عبد الله بوقس**
١٠-	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	**الدكتور عباس حسن محمد**
١١-	لمحات نفسية في القرآن الكريم	**د. عبد الحميد محمد الهاشمي**
١٢-	السنة في مواجهة الأباطيل	**الأستاذ محمد طاهر حكيم**
١٣-	مولود على الفطرة	**الأستاذ حسين أحمد حسون**
١٤-	دور المسجد في الاسلام	**الأستاذ محمد علي مختار**
١٥-	تاريخ القرآن الكريم	**الدكتور محمد سالم محيسن**
١٦-	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	**الأستاذ محمد محمود فرغلي**
١٧-	حقوق المرأة في الإسلام	**د. محمد الصادق عفيفي**
١٨-	القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١]	**الأستاذ أحمد محمد جمال**
١٩-	القراءات أحكامها ومصادرها	**د.شعبان محمد اسماعيل**
٢٠-	المعاملات في الشريعة الاسلامية	**الدكتور عبد الستار السعيد**
٢١-	الزكاة فلسفتها وأحكامها	**الدكتور علي محمد العماري**
٢٢-	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	**الدكتور أبو اليزيد العجمي**
٢٣-	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	**الأستاذ سيد عبد المجيد بكر**
٢٤-	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	**الدكتور عدنان محمد وزان**
٢٥-	الإسلام والحركات الهدامة	**معالي عبد الحميد حمودة**
٢٦-	تربية النشء في ظل الاسلام	**الدكتور محمد محمود عمارة**
٢٧-	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	**د. محمد شوقي الفنجري**
٢٨-	وحي الله	**د. حسن ضياء الدين عتر**
٢٩-	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	**حسن أحمد عبد الرحمن عابدين**
٣٠-	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	**الأستاذ محمد عمر القصار**

العنوان	المؤلف
١٢١- الاسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الاسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥- الاسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الإتصال الحديثة	الأستاذ ابراهيم إسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات	الأستاذ أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	الأستاذ محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الاسلامي	د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣- الاسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤- احمد محمد جمال رحمه الله	مجموعة من الكتّاب